باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية
BAHETH CENTER
For Palestinian and Strategic Studies

المشهد الفلسطيني

قراءات في معركة سيف القدس

إعداد مديرية الدراسات 2021

باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية
BAHETH CENTER
For Palestinian and Strategic Studies

بيروت / لبنان

هاتف: 01-842882 تلفاكس: 01-843882 ص.ب:25/408

E-mail: baheth@bahethcenter.net www.bahethcenter.net

Facebook:bahethcenter

قراءات في
معركة سيف القدس

2021

باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

BAHETH CENTER
For Palestinian and Strategic Studies

الإصدار: قراءات في معركة سيف القدس.

الناشر: مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية.

تاريخ النشر: آب 2021.

حقوق الطبع محفوظة للمركز

لبنان/ بيروت/ بئر حسن/ قرب السفارة المغربية
بناية يونس- ط 1
Lebanon/Beirut/Beer Hassan
near Morocco Embassy
Younis bldg. 1st floor
Tel: 9611 842882 - mobile: 9613 507800
FaX: 9611 843882 - P.O.Box: 25/ 408
e-mail: baheth@bahethcenter.net
www.bahethcenter.net

فهرس المحتويات

تقديم 5

«سيف القدس»: قراءة في السياسة والميدان (محمد خواجه) 7

نصر أيار/ مايو 2021 في فلسطين: دروس قديمة وآفاق جديدة

(مروان عبد العال) 17

معركة «سيف القدس» والإعلام الإسرائيلي (حمزة البشتاوي) 27

معركة «سيف القدس»: المواجهة والمُراكمة.. سرايا القدس نموذجًا

(هيثم أبو الغزلان) 45

معركة «سيف القدس»: المواقف والتداعيات (براءة درزي) 51

حلقة نقاش خاصة: «معركة سيف القدس: هل تؤسس لمرحلة جديدة

في الصراع مع المشروع الصهيوني»؟ 69

يوسف نصرالله 70

معن بشور 72

محمد خواجة 73

محسن صالح 74

عبد الحليم فضل الله 77

سيف دعنا 79

طلال عتريسي 81

عباس اسماعيل 82

خاتمة 84

تقديم

تحدثت الكثير من التقارير والتحليلات والدراسات حول نتائج وتداعيات معركة «سيف القدس» الأخيرة، بالنسبة لطرفي المعركة الرئيسين: الكيان الإسرائيلي وحركة حماس. لكن تبقى النقطة الأولى المضيئة في هذه المعركة، والتي لم تركّز عليها أغلب التحليلات والقراءات المذكورة، وهي الوحدة الميدانية والسياسية والشعبية المذهلة التي عبّر عنها الشعب الفلسطيني، بفصائله المقاتلة وحركاته السياسية وهيئاته المختلفة، سواء في غزة المحاصرة أو الضفة الغربية، والأراضي المحتلة عام 1948، وصولاً إلى «الشتات» الفلسطيني في المنطقة والعالم.

ومع أهمية الأبعاد والنتائج التي تكشفت عنها معركة «سيف القدس»، على الصعد الاستراتيجية والسياسية والمعنوية، لناحية مباشرة المقاومة بقصف عمق الكيان ومستوطناته، وصمودها أمام آلاف الغارات وعمليات القصف المركّز، من قبل «أقوى» جيش في المنطقة، فإن التحوّل الأبرز الذي يجدر التركيز عليه يكمن في الوحدة بين حركات وفصائل المقاومة ، والتي تعمّدت بالدم، وكرّست وجود الشعب الفلسطيني التاريخي على أرضه، متجاوزة الاتفاقيات السياسية المذلّة، وكل الخطط والمشاريع المعادية التي حاولت طمس وجود وحقوق هذا الشعب على مدار العقود التي سبقت أو تلت احتلال فلسطين من قِبل الصهاينة في العام 1948.

في هذا الإصدار الخاص بمعركة سيف القدس عدّة قراءات للأبعاد المختلفة التي انطوت عليها تلك المعركة، والتي أعدّها باحثون ومختصّون بالقضية الفلسطينية، بالإضافة إلى ندوة خاصة عُقِدت في مركز باحث للدراسات في المضمون عينه، وحضرها أساتذة جامعيون وباحثون من فلسطين ولبنان.

«سيف القدس»
قراءة في السياسة والميدان

محمد خواجة*

مقدّمة:

منذ العام 2005، واجه قطاع غزة حروباً إسرائيلية مصغّرة، هي كناية عن ثلاث جولات قتال متباعدة، كانت أعنفها (الجرف الصامد 2014)، التي امتدت لواحد وخمسين يوماً، حاصدة آلاف الشهداء والجرحى. لكنها لم ترتقِ إلى مستوى جولة القتال الأخيرة «سيف القدس»، رغم محدوديتها الزمنية (11 يوماً). كانت أقوى وأشدّ من سابقاتها، بمجرياتها وخلاصاتها الميدانية، وتأثيراتها السياسية، فلسطينياً وعربياً ودولياً.

في الليالي الأخيرة من شهر رمضان، أشعلت المقاومة الفلسطينية المعركة انتصاراً للمسجد الأقصى وأهالي أحياء الشيخ جرّاح وسلوان وغيرها، المهدّدين بالاقتلاع من منازلهم. وسرعان ما ارتسمت على مساحة فلسطين مشهدية ثلاثية الأبعاد، قدحت شراراتها الأولى من بوابات الأقصى، فأربكت الإسرائيلي وأذهلت العالم...

وبدا الشعب الفلسطيني كتلة صلبة متراصّة كاسرة للعوازل السياسية والجغرافية؛ فبعد كمون طويل اشتعل غضب «عرب 1948»، بالتزامن مع إرهاصات انتفاضة جديدة في الضفة الغربية، تضامناً مع القدس وقطاع غزة الذي تألّقت مقاومته في أدائها وثباتها.

هبّة الداخل

رغم أنّ المفاجآت غير السارّة للعدو، وتخوّفه من تفلّت أوضاع الضفة الغربية، فإن عين قلقه بقيت مصوبة على هبّة فلسطينيي الداخل في مدن وبلدات اللد وعكا وحيفا وأم الفحم وسخنين والنقب وقرى الجليل الأعلى وغيرها، الرازحة تحت سلطة أطول احتلال استيطاني استئصالي.

في الأيام الأولى من الهبّة، نجح الفلسطينيون بالسيطرة على أحياء مختلطة، وهروب جماعات من المتطرّفين اليهود، عادوا إليها بحماية الشرطة الإسرائيلية التي استقدمت قوات كبيرة لاستعادة

* نائب عن كتلة التنمية والتحرير في البرلمان اللبناني وعضو مكتب سياسي في حركة أمل.

السيطرة. بعد ذلك، عمد أولئك المتطرفون إلى الصدام مع السكان، وإحراق مؤسسات تجارية ومحال وسيارات تعود ملكيتها إلى الفلسطينيين.

تلك الهبّة وصفها الكاتب الإسرائيلي «يائيف كوفوفيتش» «بأنها أكبر تهديد للمجتمع الإسرائيلي» (هآرتس 16/5/2021). أما «بن يشاي»، فعبّر عن المشهدية الفلسطينية قائلاً: «إسرائيل تخوض اليوم حرباً على ثلاث جبهات (غزة – الضفة الغربية – مناطق 1948)؛ لكن أخطرها جبهة الأمن الداخلي» (يديعوت أحرونوت 15/5/2021). وعلّق وزير الحرب بيني غانتس «إن رد فعل عرب 48 لا يقل خطورة عن صواريخ غزة» (هآرتس 16/5/2021). وللمرّة الأولى، جنح بعض الإعلام الإسرائيلي والعالمي للحديث عن حرب أهلية داخل الكيان الصهيوني.

خيّب الجيل الثالث من فلسطينيي الداخل آمال المراهنين على عاملَي الوقت والتعب، وكذب ما تنبأ به بن غوريون يوماً من «أن الكبار من الفلسطينيين سيموتون والصغار سينسون». لقد أثبت هذا الجيل، بانخراطه في مشهدية الصراع، تمسكه بجذوره وهويته الوطنية والثقافية.بمواجهة احتلال استيطاني، يبتغي طرد أهل البلاد من أرض أجدادهم. وزاد من مخاوفهم إقرار قانون (الدولة القومية 2016) الذي يكرّس مفهوم النقاء اليهودي، ويشرّع عملياً، لإلغاء وجودهم. وعلى مدى العقود الماضية، لم تُخفِ الأحزاب الدينية واليمينية نيّاتها، بترحيل – ترانسفير – فلسطينيي الداخل الذين تناهز أعدادهم مليوناً وسبعمائة ألف نسمة خارج حدود الكيان. ويعتبر الإسرائيليون أن هؤلاء «قنبلة ديموغرافية»، يزداد خطرها مع مرور الوقت، وتشكّل تهديداً لتركيبة مجتمعهم الهشّة سكانياً. وبهذا السياق، جاهرت غولدا مائير، مراراً، أنها تشعر بالقلق كلما التقت امرأة فلسطينية حاملاً في الطريق.

لقد صدمت هبّة فلسطينيي الداخل العدو الذي جهد، طوال سبعة عقود ونيّف، «لترويضهم وأسرلتهم»؛ ففتح أمام بعض شرائحهم أبواب الوظيفة العامة والتطوّع في الجيش. كما سمح بالترشّح والاقتراع لحاملي الجنسية الإسرائيلية منهم، بقصد عزلهم عن أبناء شعبهم، وإبراز «الصورة الديمقراطية» للكيان الصهيوني. ومع ذلك، لم يفلح الرتوش التجميلي بإخفاء بشاعة نظام الفصل العنصري وممارساته ضد الأقلية العربية.

مع انتهاء معركة سيف القدس، نظّم العدو حملة قمع واعتقالات، تحت مسمّى (قانون ونظام) بحق الناشطين من فلسطينيي الداخل لإخماد روح الانتفاض لديهم. شارك فيها الآلاف من عناصر الشرطة؛ فتخطّت أعداد المعتقلين الـ2000 ناشط خلال أقل من أسبوع. وبحسب «القناة 12» الإسرائيلية، فإن غاية تلك الحملة «إعادة الردع ومكافحة الجرائم القومية ومصادرة السلاح». وتغاضى العدو الساعي لتفتيت بُنية الأقليّة العربية، عن حصول بعض مواطنيها على الأسلحة الفردية، طالما حصرية استخدامها في عمليات الثأر والنزاعات العائلية والعشائرية.

انتفاضة الضفة

تبقى احتجاجات الضفة الغربية، الخاضعة شكلاً للسلطة الفلسطينية، أقل وطأة على الاحتلال من حراك الداخل. وهذا لا يقلّل من أهميتها، خصوصاً أن بعض كوادر حركة فتح وقواعدها تصدّرت التحركات الاحتجاجية في مدن الضفة وبلداتها، دفاعاً عن القدس وتضامناً مع قطاع غزة. وهكذا، تكاملت المشهدية، وتظهّرت وحدة الموقف، أقلّه الشعبي، في الميدان والساحات، ما يؤرق العدو الذي عمل طويلاً على تقطيع أوصال الفلسطينيين سياسياً وجغرافياً ونفسياً... مستثمراً ومستفيداً من الشرذمة والانقسام في صفوف قياداتهم. ويخشى الإسرائيلي المناخات المستجدة، نتاج تأثير معركة سيف القدس، وانعكاساتها سلباً على الاتفاقيات الناظمة لعلاقاته بالسلطة، وتحديداً اتفاق التعاون الأمني الشائن والمرذول عند الأغلب الأعم من الفلسطينيين. وهو عائق رئيس يحول دون استعادة الوحدة الوطنية، وتحسين العلاقة بين قيادتي الضفة والقطاع.

على وقع معركة سيف القدس ومشهدية الانتصار وتألّق المقاومة وعودة البريق للقضية، يفرضُ السؤال نفسه: هل سيبقى المراهنون على التسوية والتفاوض مع العدو على تمسكهم بخيار كهذا، لم يحرّر أرضاً و لم يسترد حقّاً، رغم انقضاء نحو ثلاثة عقود على اتفاقية أوسلو؟ وإن كنّا ندرك سلفاً أن الجواب الذي نبتغي أرجحيته ليست عالية، لأن غالبية القيادات التي سلكت مسار المهادنة والتقرب من العدو، باتت أسيرة مصالح وشبكة منافع، لا علاقة لها بآمال الشعب الفلسطيني وأحلامه، الذي يبقى هو الرهان...

الميدان

رغم أن آثار الدمار لا تزال بارزة في القطاع المحاصر، ونيران معركة سيف القدس لمّا تخبْ كلياً بعد؛ فقد تحولت تلك المعركة سريعاً، بمجرياتها وسماتها ونتائجها مادة نقاش وبحث، لدى كل من الإسرائيلي وقوى المقاومة، لما لها من تداعيات مُقدّرة على خاصيات الصراع الدائر بينهما. وبقراءة متواضعة ميدانياً، يُمكن لحاظ خلاصات أوليّة، قد تؤسس لمداميك معادلات جديدة، تؤثّر حكماً في مسارات الحروب المقبلة، وأهمها:

1 – المبادأة: بادرت المقاومة الفلسطينية بفتح المعركة وفاقاً لتوقيت مُعلن مسبقاً، نصرة للقدس والمسجد الأقصى؛ فكانت المرة الثانية بعد حرب أكتوبر 1973، التي يمتلك فيها العرب عنصر المبادأة، ما يُوجب التوقّف عنده، لما يظهره من قدرة وجرأة وثقة بالنفس، افتقد الإسرائيلي اليوم بعضاً منها.

2 – القيادة والسيطرة: سجّلت معركة سيف القدس ارتقاءً في أداء منظومة القيادة والسيطرة لدى المقاومة، وتجلّى الأمر بالالتزام الدقيق بمواقيت فتح المعركة وتوقفها، وتنفيذ ضربات

صاروخية من خارج الخطة العامة، بمواقيت محددة من القيادة، كرد على مجازر ارتكبها العدو ضد أهداف مدنية. وهذا يعكس القدرة على تأمين استمرارية التواصل، وإيصال الأوامر إلى المنظومات الصاروخية والوحدات المقاتلة.

هذا المعطى ليس بسيطاً لسببين اثنين: الأول، امتلاك الجيش الإسرائيلي قدرات تكنولوجية هائلة، بإمكانها تعطيل وسائل الاتصال بأنواعها المختلفة. وفي حروب ومعارك سابقة، ومثالاً «حرب لبنان الأولى»، نجح الإسرائيلي بقطع التواصل الهرمي، وشلّ منظومة القيادة والسيطرة لدى الخصم. أما السبب الثاني، فمردّه إلى تركيبة المقاومة في قطاع غزة، المشكّلة من حركات وفصائل متعددة، ما يعقّد آليات التواصل والأمرة القيادية، رغم انضوائها ضمن غرفة عمليات مركزية موحّدة.

إن تطوّر منظومة القيادة والسيطرة المشار إليه، لا يقلّل من أهمية التعليمات المسبقة، التي تحدد مهام وأهداف الوحدات القتالية ونطاق حركتها على الأرض. وكذلك، اللامركزية القيادية التي تشجع روح المبادرة واتخاذ القرارات من قِبل القادة الميدانيين، بما يتناسب وتبدّل مجريات المعركة ويطلق الإسرائيليون على هؤلاء القادة لقب «الجنود المفكّرون»؛ هذان العنصران أكثر من ضروريين لقوى المقاومة التي يغلب على تركيبتها أنموذج قوات حرب العصابات، وتستخدم أسلوب «القتال الشبحي»، كونه الأجدى لمواجهة الجيش الإسرائيلي، بما لديه من فائض نيران وقدرات تدميرية. وتحديداً، في حال نجاحه بقطع الصلة بين تلك المجموعات والقيادات الأعلى، وهذا الاحتمال مرشّح للحصول غالباً، نظراً للهوة الكبيرة بين قدراتها وبين قدرات العدو.

3 – الطائرة والصاروخ: خلال معركة سيف القدس، نفّذ سلاح الجو الإسرائيلي آلاف الطلعات، وفي الليلة الثالثة من القتال وحدها، تزاحمت نحو 200 طائرة حربية في سماء قطاع غزة المحدودة المدى. وكان أحد أهداف كثافة الغارات التي ألحقت الكثير من الإصابات بالمدنيين، تدمير شبكة الأنفاق المقدّرة بمئات الكيلومترات.

في العام 2016، أعلن إسماعيل هنية خلال تشييع عدد من الشهداء «أن غزة صنعت أنفاقاً ضعف أنفاق فييتنام التي تُدرّس في الكليات العسكرية، ويقرأ عنها العسكريون، ويخطط من خلالها الإستراتيجيون». عملياً، أصبحت الأنفاق من ركائز إستراتيجية المقاومة في القطاع، إذ عوّضت ضيق المساحة وانعدام التضاريس الجغرافية المؤاتية، التي توفر للمقاومين القدرة على الاختباء والتخفّي وسهولة الحركة والمباغتة ونصب الكمائن، سيما في المعارك الدفاعية. وفور انتهاء القتال، أعلنت قيادة المقاومة أن الأضرار التي لحقت بشبكة الأنفاق محدودة للغاية، ولا تتعدى 3%.

أما الهدف الأساس لسلاح الجو الإسرائيلي خلال معركة سيف القدس، فتمثل بملاحقة وتدمير

المنظومات الصاروخية التي حافظت على وتيرة رماياتها، من الساعة صفر حتى حلول لحظة وقف القتال، وارتسم قوس نيرانها من أصبع الجليل في الشمال حتى النقب جنوباً.

طوال أيام المعركة، انهمرت الصواريخ الفلسطينية على مئات الأهداف في مدن تل أبيب وعسقلان وأسدود وبئر السبع والنقب ومستوطنات غلاف غزة وغيرها، بحيث لم تبقَ منطقة آمنة على امتداد الخارطة الفلسطينية. وكتب أليكس فيشمان «نحن في حرب حقيقية ولسنا في جولة قتال. إن شلّ المطار وضرب البنية التحتية الاستراتيجية والمراكز السكانية، وإصابة خط نفط إيلات – عسقلان هي حرب بين إسرائيل وحماس». (يديعوت أحرونوت 18/5/2021).

لقد نجحت المنظومات الصاروخية للمقاومة في نقل النيران إلى عمق الكيان الصهيوني، وشلّ مناطق كاملة منه، وإجبار نحو 50% من المستوطنين، بشكل كليّ أو جزئي، على الاختباء في الملاجئ طوال جولة القتال. وبرز مشهد شبيه بـ«حرب لبنان الثانية»، من حيث قدرة النيران الصاروخية للمقاومة، آنذاك، التي طاولت مدناً ومواقع حيوية للعدو. وهو مرشّح للتكرار بقوة أكبر في الحروب القادمة. وهذا يعني أن أحد مرتكزات الإستراتيجية العسكرية الإسرائيلية، القائمة على حصر المعركة بأرض العدو وإبعاد النيران عن عمق الكيان، التي سبق وطبّقت بنجاح كبير خلال الحروب الكلاسيكية بمواجهة الجيوش العربية، قد أُعطِبت كلياً.

ويعود الفضل في ذلك إلى جهود قوى المقاومة الحثيثة لتطوير منظومات الصواريخ المنحنية ذات المديات المختلفة، وتظهر مردود تلك الجهود في معركة سيف القدس، على مستوى الأداء والدقة وقدرة الوصول إلى الأهداف البعيدة.

4 – الجبهة الداخلية: أهم خلاصات «حرب لبنان الثانية»، تمثلت بضرورة حماية الجبهة الداخلية التي تعرضت لآلاف الصواريخ، على مدى ثلاثة وثلاثين يوماً. ووفاقاً لتقديرات «لجنة فينوغراد»، ستكون هدفاً رئيساً في أي حرب مقبلة، بعدما أصبحت بمثابة عقب أخيل الكيان الإسرائيلي. وفور انتهاء تلك الحرب، عملت الصناعات العسكرية الإسرائيلية على إيجاد حلّ لتلك المعضلة؛ فتم استكمال مشروع صاروخ حيتس (السهم) المضاد الصواريخ البالستية، وإنتاج مقلاع داود والقبّة الحديدية، لتشكل منظومات صدّ صاروخي، تتولّى مع صواريخ باتريوت وثاد الأميركية حماية الجبهة الداخلية.

إن معركة سيف القدس أو «حارس الأسوار» بالتسمية الإسرائيلية، شكّلت مسرح اختبار لمدى فعالية تلك المنظومات، وبالأخص القبّة الحديدية، المصمّمة لاصطياد الصواريخ القصيرة والمتوسطة ضمن مدى 70 كلم. وكشفت التجربة الميدانية تواضع النتائج المخيّبة لآمال الإسرائيليين، عندما أخفقت باعتراض أكثر من 40% من صواريخ المقاومة. وهذا ما أكده بيني غانتس بالقول «إن القبّة الحديدية اعترضت نحو 1400 صاروخ أطلقت من قطاع غزة».

وأشارت مصادر المقاومة والعدو إلى انطلاق نحو 4500 صاروخ من قطاع غزة. وفي السياق، قلّلت تقارير إسرائيلية «من فعالية القبّة الحديدية التي لم تتجاوز الـ20%، رغم كلفة تشغيلها العالية جداً». (هآرتس 30/5/2021).

لقد أربكت المقاومة منظومات القبّة الحديدية، باستخدامها تكتيكات «الإغراق الصاروخي»، وذلك برمي صليات متتالية على أهداف متقاربة ضمن وقت وجيز. ومثالاً لا حصراً، في الليلة الثالثة من المعركة، استُهدفت تل أبيب بنحو 130 صاروخاً، خلال بضع دقائق. علماً، أن منظومة القبّة الحديدية ليس بإمكانها اعتراض أكثر من 20 صاروخاً في الوقت ذاته، ما يُتيح لأعداد كبيرة من الصواريخ المعادية الإفلات والوصول إلى أهدافها.

أثار «قصور» فعالية القبّة الحديدية في حماية الجبهة الداخلية موجة انتقادات، طاولت المراتب السياسية والعسكرية الإسرائيلية، في مشهد مشابه لما جرى عقب «حرب لبنان الثانية»، وتمحورت الانتقادات حول الكلفة العالية وانخفاض الفعالية. وكتب المحلّل الإسرائيلي جدعون ليفي «أن القبة الحديدية ليست الحل، فالكل يعلم أن دقّتها من 20 – 30% فقط، وليس كما يدعي نتنياهو لطمأنة الشعب. صاروخ قيمته 50 ألف دولار ينطلق لإسقاط صاروخ ثمنه 300 دولار، ويُخطئ في معظم الأحيان». (هآرتس 12/5/2021).

في جانب آخر، أضاء الجنرال المتقاعد يتسماك بريك «على فشل سلاح الجو في وقف إطلاق الصواريخ من غزة، رغم مشاركة معظم طائرات سلاح الجو، وإلقاء آلاف القنابل الدقيقة التي تكلّف مليارات الشيكلات». (هآرتس 22/5/2021). واعتبر ذلك السلاح سلاحاً إستراتيجياً فعالاً في مواجهة طائرات العدو، وليس ملاحقة منظومات الصواريخ المتحركة. وتوقع قائلاً: «إذا لم يتمكن سلاح الجو من منع إطلاق حماس للصواريخ، فمن باب أولى، أنه لن يستطيع وقف إطلاق الصواريخ في حرب متعددة الجبهات على مساحات أوسع». (هآرتس 22/5/2021). هذا السيناريو المقلق لخّصه موقع إسرائيل ديفنس: «ما يمرّ علينا الآن سيكون «حضانة أطفال» لما هو متوقع في المواجهة مع حزب الله». (17/5/2021).

تحمل تلك القراءة الإسرائيلية الكثير من الموضوعية، في مجال المقارنة بين معركة سيف القدس والحرب المحتملة على الجبهة الشمالية مع لبنان، وربما مع سوريا أيضاً. انطلاقاً من أنه، إذا كان قطاع غزة المحاصر والمحدود المساحة (363كلم^2)، ويعاني من الاكتظاظ الخانق (60 ألف نسمة/كلم2)، نجح بتعطيل الحياة في مناطق واسعة من الكيان الإسرائيلي، فماذا سيفعل العدو لحماية عمقه، إذا اندلعت الحرب على أكثر من جبهة، بمواجهة قوات تملك من القدرات الصاروخية والمسيّرات غير المأهولة، عشرات أضعاف ما تملكه المقاومة في غزة، من بينها مئات الصواريخ البعيدة المدى والعالية الدقة، التي لا يتعدى هامش خطئها بضعة أمتار؟ وليس خافياً أن تلك

القوات تضع في مقدمة أولوياتها، استهداف القواعد الجوية في الحرب القادمة، لإلحاق الضرر بمنشآتها اللوجستية والخدماتية والطائرات الحربية الرابضة على المدارج، وإرباك عمليات الإقلاع والهبوط.

ولاتضاح الصورة أكثر، يجب لحاظ العوامل الجغرافية على الجبهتين اللبنانية والسورية، وما وراءهما من مساحات شاسعة وتضاريس ملائمة، حيث تتوافر فيها عناصر التمويه والاختباء والمناورة الضرورية لحركة المجموعات المقاتلة والمنظومات الصاروخية المتحركة. هذه العوامل وغيرها سوف تولّد المزيد من التحديات والتعقيدات، أمام صنّاع قرار الحرب في الكيان الإسرائيلي.

5 – المسيّرات: في معركة سيف القدس، أدخلت المقاومة سلاحاً جديداً هو الطائرات المسيّرة، وإن ضمن نطاق ضيق، ربما لاختبار أدائها وتقييم تجربتها استعداداً لجولات قتالية مقبلة. ويؤشّر هذا المعطى، على محدوديته حتى الآن، إلى أن استعمال المسيّرات في الميدان لم يعد حكراً على الإسرائيلي الذي سبق واستخدمها بكثافة، خلال حرب تموز 2006، ليس في عمليات الاستطلاع والمسح الجوي فقط، وإنما كطائرات مقاتلة مزوّدة بصواريخ جو – أرض. ولاحقاً، سارعت روسيا والصين وتركيا والبرازيل وغيرها، إلى عقد اتفاقيات مع الدولة العبرية لشراء هذا النوع من الطائرات.

إن مصدر قلق العدو، لا يكمن في امتلاك قوى المقاومة لتلك الطائرات فحسب، وإنما في قدرتها المتنامية على تصنيعها محلياً، بأعداد وفيرة وأكلاف قليلة. وتناول أكثر من باحث إسرائيلي، الجانب الاقتصادي بسخرية: «لإسقاط طائرة مسيّرة كلفتها بضع مئات من الدولارات، علينا استخدام صاروخ لا يقلّ ثمنه عن 50 ألف دولار». وهذا برأينا يتناقض جوهرياً مع مبدأ أن الحرب هي اقتصاد مكثّف.

من المقدّر أن يغدو اعتماد سلاح المسيرات سمة رئيسة من سمات حروب المستقبل، نظراً لفعاليتها، وتزايد استخداماتها، لا سيما من قِبل الطرف الأضعف تسليحاً، والميدان اليمني أوضح مثال على ذلك. لقد نجح الحوثيون بإيجاد توازن إلى حد ما، قبالة أسلحة الجو التابعة «للتحالف الدولي»، من خلال الاستخدام المكثّف للمسيرات المفخّخة ضد أهداف استراتيجية، منها آبار النفط والمطارات والتجمعات العسكرية وغيرها، كرد فعل على الغارات الجوية للتحالف من دون إغفال الدور الكبير للصواريخ البالستية. ولا شك أن الإسرائيلي الشريك في الحرب على اليمن، يتابع مجرياتها لاستخلاص الدروس والعبر منها. ونعتقد أن الدرس الأهم، هو أن المسيّرات لدى قوى المقاومة ستكون مستقبلاً شريكة للمنظومات الصاروخية في تكوين معادلة ردع نسبي بمواجهة الذراع الجوية الإسرائيلية.

وكان الكاتب الأميركي الإستراتيجي «بيتر سينجر» قد تنبّأ، قبل أكثر من عقدين، أن الطائرات المسيرة التي لا تحتاج إلى ربان، والمنخفضة الكلفة، سوف تحل، تدريجاً، مكان الطائرات الحربية الباهظة الأكلاف، في حروب المستقبل، معتبراً إياها مفخرة التكنولوجيا الأميركية والغربية. وهي تخضع لبرامج تطوير متلاحقة، لزيادة سرعتها، وإطالة فترة تحليقها في الجو، وتحسين أدائها القتالي.

لكن ما لم يلحظه سينجر، آنذاك، أن إنتاج تلك الآلة الحربية الواعدة، لن تقتصر حصريته على الدول الصناعية الغنية. وقد باتت تُصنّع في عشرات الدول، بعض منها لا يتساوق مع السياسات الأميركية، فضلاً عن الجماعات المسلحة غير الدولتية، ومنها قوى المقاومة في منطقة غرب آسيا.

6 – الحرب البريّة: إن مشهد ارتباك الجيش الإسرائيلي على تخوم قطاع صغير محاصر، مكتفياً بصبّ حمم نيرانه من البر والبحر والجو، دون الإفلاح بمنع إطلاق الصواريخ الفلسطينية، أساء لصورة «الجيش الذي لا يُقهر» التي تكوّنت خلال حروب كلاسيكية، وخصوصاً، حرب حزيران 1967، حين حقّق الانتصار على ثلاث جبهات، في أيام معدودات، واحتلّ أكثر من 70 ألف كلم^2 من الأرض. وقد لعب سلاح الجو الإسرائيلي الدور الحاسم في كسب تلك الحروب.

مشهد الارتباك هذا، وتحديداً في صفوف القوات البرية، سبق وتكرر مراراً، خلال السنوات الماضية، رغم المشاركة الكثيفة للطائرات الإسرائيلية على جبهتي غزة ولبنان، ما دفع بالجنرال يتسماك بريك للقول: «إن مفهوم الانتصار في الحرب بواسطة سلاح الجو قد انهار كلياً». هذا المفهوم اقتبسه الإسرائيليون مطلع الألفية الثانية، من خلاصات تجارب الحروب الأميركية في يوغسلافيا وأفغانستان والعراق، سعياً منهم لكسب الحرب من دون «دماء ودموع» في جانبهم. لكن ثبت فشل هذا المفهوم خلال الحروب والمعارك غير المتناظرة قبالة قوى المقاومة في لبنان وفلسطين. وقد أقرّ بذلك، رئيس الأركان الإسرائيلي الجنرال دان حلوتس، الآتي من سلاح الجو، خلال مثوله، أمام لجنة فينوغراد بالقول: «إن بإمكان الطائرة القتل والتدمير، لكنها لا تستطيع أن تزرع علماً على تلّة».

بناءً على خلاصات وتوصيات حرب تموز 2006، عمل الإسرائيليون على إعادة تأهيل القوات البرية، وتدعيمها بالمزيد من الدبابات والمدرعات «المحصنة» بأنظمة مضادة لصواريخ م/د. كما خضعت طوال السنوات الماضية، لبرامج تدريب مكثّفة، وإجراء عشرات المناورات لمحاكاة حرب برية محتملة على الجبهة اللبنانية.

إن تسمّر القوات البرية أمام قطاع غزة، وعدم انخراطها في عمليات ميدانية، أضعف معنويات تلك القوات التي تعاني أساساً، نقصاً في الحافزية على القتال، لأسباب لها علاقة بمتغيرات بنيوية يشهدها الكيان الإسرائيلي. وهذا الانطباع السلبي بات شائعاً، بحسب ما كشفت الخبيرة

العسكرية الإسرائيلية «ليلاخ شوفال» «أن النخبة العسكرية والسياسية الإسرائيلية تخشى بشدة من وضع القوات البرية، لأنها لم تثبت كفاءتها في السنوات الأخيرة» (إسرائيل اليوم، 8/7/2021). هذا الأمر شكل نكسة قوية لنظرية رئيس الأركان الجنرال أفيف كوخافي، «القائمة على تعاون قوى الجو والبر، لأن أي معركة لا تنتهي بهجوم بري ناجح لن تحقق شيئاً».

ما تقدّم يطرح تساؤلات: هل الجيش الإسرائيلي عاجز عن التوغّل للقضاء على المنصّات الصاروخية، وتدمير شبكات الأنفاق، وإخضاع قطاع غزة لسيطرته؟ من المؤكد توافر القدرة لديه للقيام بالمهمة، لكن بأي تكلفة، ومدى استعداده لتحمّلها؟ بالأخص، أن بانتظاره آلاف المقاتلين المتمرسين المستعدين للقتال حتى النهاية. وماذا عن اليوم التالي لسيطرته على القطاع؟ ألم يسبق أن احتلّه مرّتين في حربي السويس والأيام الستة؟ وما هي النتيجة؟ ولِمَ سعى قادة إسرائيل للتخلص من أعباء احتلاله؟ وألم يتمنّى أحدهم لو يستفيق يوماً وقد ابتلع البحر غزة وأهلها؟

لا تزال هذه الأسئلة وغيرها حاضرة في أذهان الإسرائيليين، الذين يدركون جيداً، أنهم يواجهون أعداءً أشد بأساً وصلابة، ونجحوا بابتداع أنموذجهم القتالي الذي أثبت تمايزه ونجاعته، في منع جيش العدو من استثمار فائض القوة لديه. ومن نافل القول، إن من يتهيّب الحرب البرية ضد قطاع غزة، نظراً لأكلافها العالية وجدواها المنخفضة، سوف يفكّر ملياً قبل خوض حرب برية على جبهات أوسع، وبمواجهة قوات تفوق نظيرتها الفلسطينية عديداً وعتاداً. لقد أشّرت خلاصات حرب تموز ومعركة سيف القدس، بقوّة، إلى أن الحروب الإسرائيلية الخاطفة، الأشبه بالنزهات، واحتلال أراضي الآخرين من دون دفع أكلاف كبيرة، وتحقيق الانتصارات السهلة، أصبحت جميعها في عصر المقاومات من الماضي.

ختاماً

لقد تخطّت مفاعيل مشهدية الانتصار وتأثيراتها الجغرافيا الفلسطينية؛ فشهدت عواصم ومدن عربية وإسلامية تحركات وتظاهرات، أعادت الأمل والبريق إلى القضية الأم. وبدا مشهد التضامن الأممي أكثر حضوراً من نظيره العربي، إذ امتُلأت الكثير من الساحات الأميركية والأوروبية بأمواج بشرية ناهز تعداد بعضها المئة ألف متظاهر، منددّين بالإجرام الإسرائيلي. ولم تقتصر المشاركة على أبناء الجاليات العربية والإسلامية؛ فكان حضور المواطنين الأجانب، لافتاً وبارزاً في تلك المسيرات والاعتصامات.

بدورها، نحت بعض وسائل الإعلام العالمية في السياق التضامني. ومثالاً، تصدّرت صور أطفال غزة الشهداء الصفحة الأولى من صحيفة نيويورك تايمز العريقة. كما تعالت أصوات في الكونغرس وبرلمانات أوروبية تدعو لمحاسبة «إسرائيل» على ارتكاباتها، فأقرّت الأخيرة، للمرة الأولى، بخسارة معركة الرأي العام. وفي ذلك دلالة، على بداية تشكّل متغيرات في المزاج الغربي

الذي طالما انحاز إلى الطرف الإسرائيلي. وإن استثمار هذا الأمر، وتطويره، يتطلب عملاً جاداً لتأطير حركة النشطاء الفلسطينيين والعرب، والمؤيدين من الأجانب في بلاد الشتات والمغتربات، لتكوين «لوبيات ضغط» تساهم في التأثير بالرأي العام وقرارات الدول المضيفة. وهذا يُلقي على عاتق النخب الفلسطينية والعربية مسؤولية كبيرة وضرورية للاستمرار في معركة كسب الوعي من خلال وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، لتظهير المظلومية الفلسطينية وتعرية العدوانية الإسرائيلية.

إن ما تحقق في معركة سيف القدس يُوجب على القيادات الفلسطينية تحصين الانتصار والاستثمار عليه، وتعزيز مشهدية المقاومة والوحدة الوطنية، لضمان دفن صفقة القرن، وإعطاب مسارات التطبيع، وتعميق حال التخبط والارتباك في كيان العدو.

نصر أيار/ مايو 2021 في فلسطين: دروس قديمة وآفاق جديدة

مروان عبد العال*

«إن المقاومة على الأرض ليست مجرّد ضرورة سياسية أو الطريقة العملية الوحيدة لرفع نير الحكم الاحتلالي، بل كذلك شكلاً من أشكال بعث الحياة اجتماعياً وخلقياً في الشعوب المغلوبة على أمرها؛ فالدم المراق يحوّل الغبار الاحتلالي إلى تربة وطنية خصبة».

فرانز فانون

في ضوء المشهد الفلسطيني الأخير، وانبعاث حياته وروحه المعنوية والقتالية، ثمّة أسئلة ملحّة تنضح من صميم نصر أيار/مايو 2021، مع الإدراك بأن الانتصار تحقق في المعركة، ولكنه لم يكتمل بعد؛ فالحرب مع الكيان مستمرة ومفتوحة، والاشتباك معه متواصل، وبوسائل متعددة، طالما ظلّ عدوانه متواصلاً واحتلاله قائماً. والمطلوب منّا اليوم، وأكثر من أي وقت مضى، هو تعميق رؤيتنا ووعينا بالمستجدات والتحوّلات الآخذة بالتبلور.

إن السياسة هي امتداد للحرب، أوهي حرب بوسائل أخرى . وعادة ما يواكَب النصر ويُصان بالمقاومة السياسية. وتأسيساً، فإن النصر يبدأ بالقطع مع واقع الهزيمة، والتحكم بمسارات الأسئلة المطروحة والاستقواء بها، لا الاستسلام على قاعدة حتمية الهزيمة، وتأبيد نتائجها وفق منطق مهزوم يدّعي «استحالة» المقاومة؛ إن وعي الهزيمة والاستقواء عليها، يعني الاتجاه عملياً عكس خيار التسوية، وبما يُثبت جدوى المقاومة وديمومتها من واقع المنتصر، مع استثمار عناصر القوة المتاحة والممكنة من أجل تثبيت الانتصار، والمراكمة عليه، وحمايته من أي تبديد.

إن توقّف المعركة العسكرية لا يعني وقف الحرب ، ولو كانت المقاومة أجبرت العدو على وقف إطلاق النار، دون توقيع اتفاق أو كتابة معاهدة، كإجراء ميداني متزامن، وإن كانت توصف بعبارات ملتبسة، كالهدنة والتهدئة، أو «خفض التصعيد» ـ هذه العبارة الأخيرة السمجة التي

* مسؤول الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في لبنان.

تهدف إلى إزالة الفارق بين المعتدي والمعتدى عليه من جهة الكلفة المادية، والخسائر في أرواح البشر وتدمير وسائل حياتهم ومعيشتهم ورفاههم. غير أن هذا التخفيض للكلفة المادية لا يعني بالضرورة تخفيض الكلفة السياسية، في حال أن حسابات الحقل لم تطابق حسابات البيدر؛ فالحرب مستمرة لأن العدوان مستمر بمعناه الشامل، كمشروع صهيوني استعماري استيطاني يمثّل تهديداً وجودياً لفلسطين والأمّة .

القنطرة الاستراتيجية للمقاومة:

في إطار ما تقدم، يتقرر مصيرالهزائم والانتصارات، التي قد تبقى على حالها أو تتبدل إلى نقيضها، من خلال وعي دقيق لعملية الصراع، وقادر أن يفسّر كيف تتجذر الهزيمة، وكيف ومتى تتحول إلى نصر؟ هذا يتطلب الاستناد للإرادة الواعية بالشروط الموضوعية لإدارة المواجهة الشاملة على جبهات عدة، وصيغ مركّبة تُحدث انتقالاً استراتيجياً بين مراحل مختلفة، تبدأ من التأسيس لبديل تاريخي يمسك بالحق التاريخي، ويستند إلى كتلة تاريخية مقاومة واسعة ومنظّمة وموحّدة، هي أشبه بقنطرة استراتيجية تطال مساحة الصراع، مكانياً وزمانياً ، وضمن رؤية واضحة وممارسة استراتيجية شاملة، تطال المنطقة بأسرها؛ فالتفريط في أسباب النصر لن يجلب غير الهزيمة. وهنا يواجهنا السؤال الأهم والمفصلي: ما العمل؟ وهذا هو سؤال المرحلة بامتياز في ظروف صراعنا المُركّب والتاريخي والشامل والمفتوح على مصراعيه مع الكيان الصهيوني؛ صراع تاريخي لأنه على مساحة الماضي والحاضر، في الواقع والخيال، في العقول والقلوب، وصراع شامل لأنه يذهب في كل الاتجاهات والوسائل وعناصر القوة، ويغوص عميقاً ويتمدد أبعاداً ويفرّخ فصولاً وفروعاً، وصراع مفتوح لأنه مرتبط بالمقدّمات التي أنتجته وليس بالنهايات التي وصل إليها. وهكذا يستوجب علينا تأصيل عملية الصراع، واستدراج الكثير من النقاش في كل تفصيل، والتي إن بدأت حكماً من الوعي بمنظومة المفاهيم والتعابير والمصطلحات ستؤكد أنه صراع وجودي. لذلك إن الانتصار في الوعي يرتبط بالإرادة القادرة على تحقيقه، لأن موضوعية الصراع ستمكّن من امتلاك أسباب استمراره، لا ديمومته، وبما يضمن إنهاءه بتحقيق نصر نهائي، ذلك أن تقويض استمراره مرتبط بصراع الإرادات، ضمن قنطرة استراتيجية تشكّلها المقاومة كوعي ومنهج وممارسة.

إن النصر المحقّق بالنسبة للمقاومة الفلسطينية والشعب الفلسطيني يقع في قلب هذه القنطرة الاستراتيجية، لأنه يعني نصراً يؤسس لتغيير جديّ لقواعد الصراع من جهة، ولإدارة الصراع من جهة أخرى-أي تجاوز المرحلة السابقة، وتغيير المشهد السياسي البائس والمتشائم والمتشظي والعاجز والمستجدي والمتنافس على سلطة بإدارة سياسية مسلوبة الإرادة، وكل ما سمح بفكفكة وبعثرة عوامل القوة، وأهمها قضم القدس برمزيتها وحساسيتها قطعة وراء قطعة، وكاد أن يسمح بابتلاعها

وهضمها نهائياً، من خلال فكفكة وتهجير تجمعات سكنية وازنة تشكّل أحزمة سكانية تحمي المدينة القديمة والمقدسات، من ساحة باب العامود إلى الشيخ جرّاح إلى سلوان وبطن الهوا.. إلخ.

والنصر الأخير هو ملك الإرادة الشعبية للكلّ الفلسطيني، الذي انتفض على الصورة المحزنة للمشهد الفلسطيني الكئيب السابق، حيث يعمل العدو جاهداً على إجهاض هذا النصر، وتحويل المنتصر إلى مهزوم، من خلال إعادته إلى قواعد الصراع ذاتها وإدارة الصراع بأدواته المعتادة والمسابقة، كمظلّة لتمرير سياسته الاستيطانية والتهويدية التهجيرية على مساحة فلسطين التاريخية. وهذا يعني أن التموضع السياسي الفلسطيني، بإدارته السياسية الرسمية، وأدواته السلطوية، وقيود الاتفاقات المهينة، سيبقى رهينة المؤثرات الإقليمية والدولية المهيمنة والمناسبة جداً للعدو لتنفيذ كامل مشاريعه التتبيعية والتطبيعية.

ما يعنيه هذا الاستنتاج هو أن ما تحقق بفضل المقاومة هو تجاوز قواعد الصراع التقليدية نحو معادلات جديدة، والعمل على تأسيس عقد اجتماعي جديد، يرمّم المشروع الوطني الفلسطيني، ويبني مفهوماً جديداً للوطنية الفلسطينية كقوّة تحررية ضد الكيان الصهيوني وليس معه، بل ومعسكر الأعداء بشكل عام. ما أثبتته معركة سيف القدس هو أن الكيان جزء أصيل ورأس حربة في مشروع استعماري رجعي معادي، يستثمر عناصر القوة لديه، الكامنة والظاهرة. وما يؤشر إلى صحة هذا الاستنتاج هي «الفزعة»، إن صحّ القول، التي استنهضت الحكومات البعيدة والقريبة في المحور الآخر لاستدراك ما حصل، وبذل كل الجهود للعودة للوضع السابق.

إن الإدارة الحقيقية للصراع هي القدرة على تمتين عناصرالقنطرة الاستراتيجية للمقاومة، من التحالف والتقاطع والتكامل بين المنفرد على الصعيد الوطني والخاص، وعلى صعيد الأمّة العربية والإسلامية، وعلى الصعيد الأممي والإنساني ـ أي على مستوى وكيفية الاستفادة من الفرص المتاحة، وتقليل الخسائر، وتجنّب تشتيت الجهد والإمكانيات ، وكيفية التعامل مع التحديات. هذا سيسمح بتطوّر العامل الذاتي، الذي جعل من هذه المعركة لحظة ثورية لفرض معطيات جديدة؛ وهو ما يجب أن نسلّط الضوء عليه باعتباره موضوعاً للمراجعة، وهو ما يمكن البناء عليه في المستقبل لمواصلة مراكمة القوة الذاتية بما يسمح بقدرات أكبر في التصدي للتحديات ،التي ستتفاقم حكماً بسبب شعور معسكر العدو بكل أبعاده (الكيان الصهيوني والراعي الامبريالي والأتباع من أنظمة عربية) بازدياد المخاطر وتطور قوة المقاومة.

إن الرجوع لمتابعة تحقيق الأهداف الموضوعة مسبقاً قبل تصعيد الوسائل واللجوء للحرب، من احتواء فكرة النصر لدى الخصم، أو لإجهاض انتصاره أو لتأكيد هزيمته، لا يتم بالاكتفاء بإثارة موجة من التشكيك بالنتائج، بل بجدوى التصدي للعدوان أصلاً، ولا في عملية تهويل الخسائر في المواقع الحيوية والعسكرية وآثارها على بُنية المقاومة وحساب أعداد الشهداء والجرحى،

بحيث تكون النتيجة البسيطة والسهلة جداً، بأن الوضعية الأفضل لتقليل الخسائر هي الاستسلام الكامل والعيش كالعبيد.

وللتذكير، فإن النقاش حول ما الذي تحقق؟ وهل هو انتصار؟ وما هي طبيعته؟ كان قد اشتعل يوم اندحر العدو من جنوب لبنان في أيار 2000، ويوم اندحر من غزة في آب 2005، ومجدداً بعد عدوان تموز 2006. ولا ننسى أن هناك من لا يريد أن يعترف بأن سوريا في «عشرية النار» قد انتصرت على العدوان الكوني عليها. إن الدليل قاطع على أن اندحار العدو الصهيوني من جنوب لبنان عام 2000 هو انتصار حاسم لا يقبل الشك. فالمعطيات التي فرضها هذا الإنجاز هي التي سمحت بتجاوز قواعد الصراع السابقة؛ وبها تحوّلت المقاومة في لبنان إلى لاعب إقليمي أساسي، يُحسب حسابه من القوى الدولية والإقليمية والمحلية على حدٍ سواء، وبالتالي إلى سند قوي وحقيقي للشعب الفلسطيني. ومن يذكر خطاب السيد حسن نصر الله في المهرجان الجماهيري في تشرين عام 2000 للشعب الفلسطيني المنتفض، يفهم تماماً بقية القصة. ومن منّا يستطيع أن يُنكر دور المقاومة في لبنان في مساندة المقاومة الفلسطينية على كل الأصعدة والمستويات منذ ما قبل 2006 وحتى اليوم؟

نتحدث عن الآفاق الاستراتيجية البعيدة المدى التي يفتحها أي انتصار محقّق مهما كان صغيراً، لكن تأثيره ليس محلياً أو آنياً، إنما إذا أحسن المراكمة والبناء عليه سيطال تأثيره مستوى المنطقة والإقليم؛ فكل حلقة تم إحرازها في نصر سابق أدّت إلى ما هو لاحق؛ انتصار 2006 بالحدّ الأدنى خلق بيئة معنوية لتطوّر فعل الانتفاضة، ما أدّى لاحقاً إلى اندحار العدو من غزة وفكفكة 17 مستوطنة. والدليل القاطع على أن الاندحار من قطاع غزة هو انتصار حاسم لا يقبل الشك، هو تحوّل غزة إلى أرض محرّرة. وفّر هذا هامشاً لإعداد بنية مقاومة فعالة وقابلة للتطور خارج قبضة العدو. ورغم الرفض القاطع والمبدئي لفكرة الاقتتال الداخلي، والتي أدت إلى الانقسام وهدر الطاقات وتبديد عناصر القوة واستنزاف فعل المقاومة، مكّن خروج غزة عن السيطرة الأمنية القيام بمهمة وطنية أبعد من الانقسام. والسؤال الذي يطرح نفسه هو: ماذا لو انتهى الانقسام بتواطؤ إيجابي يتيح للضفة أن تكسر قيودها الأمنية وتتكامل مع غزة، بحيث تكون أراضي الضفة والقطاع محكومة بمنظومة إدارة ورؤية استراتيجية جديدة للصراع ـ أي كتعبير عن وحدة تخترق اللغة والقواعد السائدة، ونحو إدارة جديدة للصراع بمضمونه التحرري والمقاوم؟

انتصار تموز 2006 هو الدليل الدامغ على تكامل سلسلة المقاومة في مساندة سوريا في التصدي للعدوان الكوني الذي تعرضت له وانتصرت عليه. كما أن حلقة النصر لسوريا هي انتصار له مديات أشمل تطال مساحة المنطقة وفعل محورها المقاوم؛ كما تبلورت ملامح النصر في مواجهة العدوان على دور سوريا الرئيسي فيه وتقويضه. انتصرت سوريا بالتكامل في إسهامها

بنصر تموز، فانتصرت لها المقاومة في "عشرية النار"، وتشكّلت قنطرة استراتيجية في تلاصق وتلاحم وتكامل محوري في المقاومة بفضل هذا الصمود الأسطوري.

وإذا أردنا أن ندرك قيمة وأهمية ما هو منجز، فلنفكّر في غيابه؛ ماذا لو انتصر الخليط الكوني والرجعي ومن لفّ لفيفه، من مجموعات وفصائل تكفيرية متطرفة في سوريا؟ وماذا لو تمددت هذه الأدوات الداعشية كما كان مخططاً إلى لبنان، ودخل حزب الله وبيئته الحاضنة في أتون التهديد والصدام مع هذه القوى؟ هل سنكون أمام محور تبلورت ملامحه وقدراته وامتداداته؟

والمراجعة لا تشمل فقط الخيارات السياسية، بل أن تراجع المقاومة ذاتها أيضاً لتتعلم من تجربتها وتجربة غيرها. أن تدرك التعامل مع الميل التاريخي ، دون الاستهانة به، أو السماح بحرفه إلى اتجاه معاكس. لولا تحرّر غزة من قيود أوسلو الأمنية، وصمود سوريا وانتصارها مع محور المقاومة، لكانت القنطرة الاستراتيجية للمقاومة قد كُسرت، ولكانت حماس في موقع آخر، حيث تشكّل جزءً من منظومة لن تستطيع أن تتفلت من تشابكاتها والتزاماتها الإقليمية والدولية، ولن تسمح لها بإدامة حضورها إلا كمعارضة سياسية في أحسن تقدير، كما جرى للقوى اليسارية. إن تمكين حماس من بناء قدراتها الاستراتيجية بهدف تشكيل قواعد ردع هو ما سمح بفرض معطيات لتغيير قواعد إدارة الصراع. وإن عودة حماس إلى تمتين تشابكها مع قلب القنطرة الاستراتيجية التي تشكّلها المقاومة هو تأكيد على صحّة هذه الفرضية.

النصر والميل التاريخي :

أحياناً تمنح الخطابات الانتصارية فرصة اللعب على المضامين الواسعة والمتعددة الجوانب، فتضيع الفوارق بين النصر في الذهنية «العنترية» والنصر في ذهنية «الإنجاز» في ثقافة القدرة على تحقيق النصر. ولهذا نقول إن ما تحقق في معركة سيف القدس هو إنجاز فرض معطيات جديدة تسمح بالبناء عليها، وتغيير قواعد إدارة الصراع، من وضعية الفلسطيني الضعيف والمرتهن لرؤى ومصالح الآخرين، إلى الفلسطيني القوي الذي يشكّل القضية المركزية، والتي على أساسها تتحدد معايير قواعد إدارة الصراع، ليصبح الفلسطيني في موقع التهديد الوجودي للكيان الصهيوني.

نعم، بإمكاننا أن نتحدث عن ميل تاريخي لزمن النصر بمعناه التكتيكي، لكنه ميل نقيض لزمن الهزيمة. لذلك وعي هذا الميل التاريخي للنصر، الذي إذا ما جرى استثماره والبناء عليه، سيكون محطة للنصر القادم. على محور القضية الفلسطينية، يتمركز صراع القوى الدولية والإقليمية في المنطقة وعليها؛ وهذه القوى هي التي أسهمت في إيجاد الكيان لوظيفة تأبيد سيطرتها على المنطقة. لقد حقّق معسكر الأعداء اختراقات كبيرة، أدّت بمجملها إلى إبادة سياسية وثقافية وتاريخية ووجودية للشعب الفلسطيني، ليثبت مقولته عن «أرض بلا شعب». لقد فُصلت قضية فلسطين عن محيطها، ثم جُزّء ثالوث مكوّناتها في الأرض والشعب والقضية، وجُعل لكلٍ منها

ملهاة على شكل قضية خاصة سيقت على أنها قضايا ذات طابع إغاثي في موضوع اللاجئين، وإنساني تنموي في غزة والضفة، وبحدّها الأقصى قضية عدالة ومساواة في المناطق المحتلة في العام 48. ظنّ الكيان أن بمقدوره طمس الحقيقة الفلسطينية، وأنه تمكّن من تحقيق صيغة فلسطينية ضعيفة ومسيطر عليها بأشكال احتلالية متعددة، وأن الفلسطيني لم يعد مصدر تهديد وجودي للكيان الصهيوني.

لكن متلازمة القلق الوجودي لدى الكيان بدأت بالتعاظم بفعل المقاومة ، مقابل تعاظم الإحساس المعنوي بالقدرة على تحقيق الانتصار الناجز، وأن جدوى المقاومة تكمن في زيادة مراكمة القوة وقراءة الأولويات الاستراتيجية الناجمة عن معطيات النصر.

أولويات استراتيجية:

إذاً، **الدرس الأول**: هو أهمية غزة أن تكون «هانوي الفلسطينية»، التي كان يحلم بها اليسار في أن تكون للثورة هانوي عربية؛ ولكن حالت دونها الكثير من معطيات المنظومة التسووية العربية و لم تسمح بإقامتها. هنا علينا أن نطرح السؤال ذاته: ماذا لو كانت غزة ضمن المنظومة التسووية والأمنية؟ هل كان سيُسمح لها بأن تحمل بذور هانوي الفلسطينية؟ إن عزل غزة لم يميتها ، بل كان شرطاً من شروط تمكينها ضمن استراتيجية عمل شاملة ومحور يتكامل وفق خصوصياتها الجيوبولوتيكية. هنا يجب أن نذكر أن حصار غزة من جهات عدة كان بهدف تدجينها ووضعها في النظام السلطوي؛ وما الانتخابات المؤجّلة إلا محاولة مجدّدة لإعادتها إلى قفص السلطة بهدف تطويع مكانتها ووظيفتها وشرعيتها.

الدرس الثاني: إن الهدف الجامع يستحق التضحية من الجميع، خاصة إن كان هدفاً وطنياً خارج حدود السلطة، ومصلحة الفصيل، وعابراً للأيديولوجيا. لقد خلق الهدف الجامع تفاعل شرائح وفئات وتجمعات الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج، واستنهاض طاقاته وزجّها في المعركة بشكل مبدع وخلاّق. وهذا ما يفسّر استيقاظ الروح الوطنية الجامعة واستعادة المعنوية لوحدة الشعب الفلسطيني ووحدة قضيته؛ وهذا وحده يُعدّ المؤشر لاستعادة تجسيد للوطنية الفلسطينية كهوية ومشروع مواجهة شاملة. وهنا نشير إلى أنه لا يمكن ان تشكّل أي قوة، مهما بلغت إمكاناتها وقدراتها، أي تهديد وجودي للكيان الصهيوني، إن كانت دولة أو فصيل، بدون أن يكون الشعب الفلسطيني، بقواه وطاقاته، هو مركز ومرجعية هذه القوة.

الدرس الثالث: إن دور الفصائل الفلسطينية عامة، والمقاومة خاصة، يتمثل اليوم في الإسهام في صناعة الحدث، بعد أن كانت تُعدّ خارجه، أو متفرّجة عليه، أو طرف مقصى من مؤسسة القرار الرسمي وهيكليته في دائرة التفرد الفئوي بالقرار. إن اتفاق أوسلو قد أدى إلى تشوهات على مستوى البنى التنظيمية للفصائل الفلسطينية وفصائل المقاومة، بتهميش حضورها وتحويلها

إلى معارضة سياسية سلبية تسجّل موقفها للتاريخ، وليس كمعارضة فاعلة وإيجابية تسهم في صنع التاريخ. وعليه، فإن أي انتصار يستلزم بناء جبهة مقاومة وطنية موحدة، هي أوسع من غرفة عمليات مشتركة، وتتناول سبل توحيد استثمار عناصر الاشتباك التاريخي الذي أسّس له النصر الأخير.

الدرس الرابع: إن الأولوية الاستراتيجية لعمل المقاومة في فلسطين تبقى قاصرة إن لم تكن جزءاً من كل، أي من استراتيجية شاملة للمقاومة في المنطقة، والتي يشكّلها اليوم محور المقاومة بمعنى «محور فلسطين»، بكلّ ما تعنيه من دعم لفصائل المقاومة الفلسطينية، وتشكيل رافعة لدورها وتراكم قدراتها، بحيث تصبح جزءاً من منظومة إدارة صراع بديلة. اليوم، وربما للمرة الأولى في تاريخ القضية الفلسطينية، يتشكل محور يضم عدداً من الأطراف، دول وفصائل، يتشاركون في فهم مشترك للصراع مع الكيان الصهيوني كصراع وجودي، لا يمكن التعايش معه، ويجمعون في السعي لإزالته من الوجود. هذا سمح بتشكّل قواعد جديدة لإدارة الصراع وتراكم القدرات لدى كافة الأطراف في المحور بدون أي تحفظ أو حسابات؛ بل يجب إزالة العقبات، وتسهيل تبادل الخبرات، والبناء على كل إنجاز في أي موقع لصالح المحور مجتمعاً؛ وهذا ما يُضاعف من القدرات الخاصة بكل طرف، والقدرات العامة لمجموع المحور المقاوم.

الدرس الخامس: لقد برز بشكل واضح حجم التضامن الشعبي على المستويات العربية والإقليمية والدولية، بما يؤسّس لعزل الكيان الصهيوني دولياً، كنظام استعماري إحلالي عنصري ومعاكس لحركة التاريخ. ما يلفت الأنظار هنا أن هذا التضامن لم يكن من زاوية التضامن مع الضعيف، بل الوقوف مع صاحب الحق، والضحية القوية التي تتمسك بحقّها في المقاومة، وترد على الاعتداء وتوجع، ما يؤشّر على أن هذا الحجم من التفاعل والتضامن كان بفعل دور إيجابي لنهوض فلسطيني شامل، أسهم في إيصال الرسالة وحثّ الجمهور على التفاعل والتضامن.

تحويل النصر:

إن إدراكنا لدروس النصر هذه يعني منع ابتسار النصر وتقزيمه وإسقاطه في الحسابات الضيقة، من دون مناقصة أو مزايدة ، مبالغة أو تبخيس ، أو استثماره في غير مكانه ، ما قد يؤدي إلى تبديد التضحيات وتضييع الإنجاز، لأن تكريس هذا النصر يستلزم البناء عليه، والمراكمة عليه باعتباره وقائع راسخة تحققت بفضل التضحيات والجهود من مختلف قوى وشرائح الشعب الفلسطيني. إن الجهود الدولية والعربية والإقليمية والدولية كلّها مستنفرة لاحتواء هذه المعطيات ومنعها من أن تكون مقدّمات يمكن البناء عليها، انطلاقاً ممّا يشكّله العامل الفلسطيني، باجتماع تشتّته، واستعادته للوطنية الفلسطينية كهوية ومشروع تحرري، من تهديد وجودي للكيان الصهيوني، وخصوصاً في ظل تبلور محور المقاومة. المطلوب إذاً هو الاستمرار في مراكمة القدرات وبذل

الجهود لترسيخ هذه الاختراقات وتعميق مفاعيلها، والدفع لتحقيق إنجازات حقيقية فعّالة تمهّد لتحقيق الانتصار. بهذا المعنى نحن معنيّون بالدفع بالمعطيات التي عرضناها إلى الأمام لكي تتدحرج وتكبر ككرة الثلج؛ وتبقى المعضلة الأساسية في العامل الفلسطيني، الذي تتركز عليه جلّ الضغوط والجهود، لأنه المعطى الأساس الذي تبزغ منه ملامح المرحلة القادمة. والخطورة تكمن في أن الجهود الدولية والإقليمية والعربية تدفع باتجاه إعادة إنتاج «أوسلو» بنسخة جديدة، لأن هذا الاتفاق كان له الفضل في تمزيق الوطنية الفلسطينية، والعبث بمكوّنات الشعب الفلسطيني، وبعثرة طاقاته، وتدمير قواه؛ فهو الوصفة السحرية لإعادة نشر مسيرة الأوهام. إن إعادة إعمار غزة قبل إعادة إعمار البيت السياسي الفلسطيني هي مدخل رمي الطعم للسلطة الفلسطينية بهدف تأجيج المصالح والغايات، والتفريط بتعزيز دور غزة كهانوي العرب إلى شيء آخر، يحوّل دورها من رافعة إلى مرتهنة لشروط الجهات الداعمة، ونحو استثمار الدمار لانتزاع الانتصار.

تحوير الصراع:

المقصود هنا هو تحويل الصراع عن دينامياته الحقيقية، بين محتل وشعب تحت الاحتلال، وبما يشكّل رداً على الدرس الأول، باعتبار أن التناقض الرئيسي هو بين مشروع هانوي العربية والمشروع الصهيوني. إن حرف الصراع وتحويله إلى حالة داخلية سيسمح للعدو باستعادة زمام المبادرة. إن التحوّل من واقع الوطنية إلى اللاوطنية، ومن الوحدة إلى الشرذمة، ومن الروح القتالية إلى استباحة الذات، كما في حادثة الاغتيال الشنيعة للمعارض المناضل «نزار بنات»، هو محاولة لإطلاق دينامية مضادة، لطالما تبنّتها الاستراتيجية الصهيونية بافتعال الحروب الأهلية لتأجيل وإبطال وإحباط الحروب الوطنية، وتشجيع الحروب الغير عادلة لإسقاط الحروب العادلة. عند توقيع اتفاق أوسلو ، لم يُخف إسحاق رابين إعجابه بالاستراتيجية الأمريكية ، والتي وصفها بـ « ڤتنمة الحرب» ـ أي أن تقاتل فيتنام الجنوبية فيتنام الشمالية. وعليه، فإنه لا يمكن هزيمة الفلسطيني وتجريده من عناصر قوّته إلاّ بـ «فلسطنة الحرب»، فندفع كلفة الانتقال من مرحلة التحرر الوطني إلى السلطة، ثم الانقسام على السلطة، ثم السيطرة على فتات ما تبقى من الأرض بعد أن تتحول إلى مقاطعات معزولة، فيصبح مقبولاً ما كان مرفوضاً.

نقد ذهنية «اللاّمتوقع»:

قد نتغنّى بوحدة الشعب الفلسطيني العابر للجغرافيا وكل نتائج التجزئة والنكبة والنكسة والتسويات؛ لكن هذا لا يعني أن الوحدة التي تحققت كانت مفاجأة للجميع! هذا «اللامتوقع» تحقق في انتفاضة أيار ،في مشاركة الكلّ الفلسطيني، من غزة إلى القدس وإلى الداخل، وإلى داخل الداخل وإلى الشتات. واللامتوقع ليست مجرد كلمة أو شعور، بل دليل إضافي على غياب الرؤية الشاملة للصراع، ومعرفة الذات ومصادر قوّتها الكامنة. عندما كانت الصورة الفلسطينية مركزها

الخارج ودول الطوق، انفجرت عام 1987 انتفاضة الحجارة، ليفاجأ البعض بوجود هذا الجيل في الضفة الغربية وقطاع غزة؛ ويتكرّر المشهد عندما نتفاجأ ثانية بوجود جيل فلسطيني جديد في مناطق 1948؛ ما هو سرّ اللامتوقع هذا سوى غياب الرؤية الشاملة ومعرفة القوى الذاتية، أو إنكار وجودها وإسقاطه من المعادلة، أو معرفة ذلك مع عجز في استثماره في الصراع وابتكار أشكال العمل معه. كان للاحتلال دور في توحيد الظلم، وخاصة في الذروة العنصرية التي طفت على السطح في "صفقة القرن" وانتهت كماركة مسجّلة، ولكنها قائمة بشكل عملي في تمثيل الاستراتيجية الصهيونية الرجعية لقرن كامل، محورها فلسطين، وتطال الإقليم وعموم المنطقة العربية، وكمحصّلة لمشروع لم يتوقف يوماً، لأن الكيان الصهيوني منذ نشأته يعمل ضمن نسق استراتيجي شامل. مع صفقة القرن كثرت الشكاوى من غياب المراجعة السياسية كأرضية أساسية لصياغة المشروع الوطني الفلسطيني بركائزه الوطنية الموحدة، وتعددت النداءات لتجاوز أسباب أوسلو وما أحدثته من شرخ في الجسم الفلسطيني حتى اللحظة، في خضم احتدام الصراع على المستويين الإقليمي والدولي. من المفيد اليوم أن نترجم هذا "اللامتوقع" إلى ضرورة اكتشاف، وأهمية إيجاد استراتيجية لمواجهة تحديات الكلّ الفلسطيني. إلا أن المناشدة أو المطالبة بوضعها لن تجعلها حقيقة قائمة، والابتهال لوجودها لن يسقطها من الفضاء؛ فهي محصّلة إرادة ووعي، وعقل استراتيجي، وقوة حضور في المشهد.

نقد ذهنية «اللامفكّر فيه»:

هذا اللامفكّر فيه هو استراتيجية عمل تحررية وجامعة وواضحة وشاملة، تُرسم على أساسها كافة التفاصيل، وتحدّد الوسائل والآليات والأدوات. وبالنظر إلى كل الحوارات الوطنية وكيف باءت كلها بالفشل للأسف، لا بد أن نسجّل أن هذه النتائج هي محصّلة تفرّع النقاش إلى التكتيكات، التي كانت تصطدم وتختلف على الاستراتيجية، كمن يضع العربة أمام الحصان. إذاً، كيف تحدّد السياسات اليومية إن لم يكن هناك تحديد استراتيجي للهدف والمبادئ التي تقوم على معرفة أعمق وأدق للكيان الصهيوني؟ الجواب يكمن في معرفة الذات، وقوى الثورة والمقاومة، والحليف والصديق، ودور الشعب في كافة أماكن وجوده ، على الصعيد الخاص والعام الوطني، واكتشاف عناصر القوة الذاتية والموضوعية. من هنا يمكننا إيجاد رؤية تكون أساساً استراتيجياً شاملاً يحفّز عناصر القوة الذاتية، ويحجّم عناصر قوة العدو. ومن نافل القول إن غياب هذه الاستراتيجية الشاملة حتى اللحظة يعكس حالة العفوية والارتجال، والتنابذ والعجز عن التطبيق الخلّاق، وغياب القدرة على استثمار النصر والبناء عليه، والاختيار السليم للوسائل المناسبة في المواجهة.

إن ما يجري من تفاعل واشتباك تاريخي مجتمعي نشيط، لشرائح شبابية فلسطينية في مختلف

أماكن وتجمعات الشعب الفلسطيني، مرتبط ببروز الوطنية الفلسطينية الشاملة التي حاولت التسويات تبهيت لونها وتبديل ماهيّتها كهويّة. وحتى لا يكون هذا التفاعل اليقظ مجرد إرهاصات، نحن بحاجة إلى تعزيز وتركيم هذه التفاعلات من أجل دحض خلخلة هذه الوقائع العنيدة التي ترسخت في كل الواقع الفلسطيني. إن تعزيز هذا الواقع لا يتم فقط عبر مواجهة العدو، بل أيضاً عبر تجاوز التشكيلات التقليدية التي تفرض الوصايا والرقابة على الشرائح الشبابية، وعدم إدارة الظهر للملايين التي تفاعلت وعبّرت عن فلسطينيتها، واغتيال أصواتها.

خاتمة

ثمّة مسافة بين القول إن هناك مرحلة سقطت وينبغي عدم العودة للوراء، وبين ذهنية تمارس كأنما لم يحدث شيء ولا تريد للماضي أن يموت، وتعاند الإقرار بالنصر خوفاً على مصالحها وما جنته جرّاء دورها التابع والمقيّد بشروط أوسلو. ولكي لا تُطوى هذه المرحلة الجديدة بالسقوف الهابطة، والسياسات الرخوة، والاتفاقات المذلّة، والمصالح الشخصية والفئوية والسلطوية، علينا أن نبعث برسالة قوية للقاصي والداني أن النصر والبناء عليه سيشكّل خطراً جدياً ليس على الكيان الصهيوني وحده، بل أيضاً على منظومة كاملة، عربية وإقليمية ودولية، والتي بمجملها تسعى إلى تأبيد وقوننة الانقسام، وفصل محور المقاومة عن عناصر وحدته الشعبية والوطنية والاقليمية، وستستخدم بشكل فعّال العصا والجزرة، وخصوصاً في الحاجة للإعمار وتخفيف الأعباء المعيشية والإغاثية في غزة. إن البداية الصحيحة لأي حوار جدي يراعي ما تحقق في هذا المعطى هو الانطلاق من إعادة بناء، وتطوير، وتفعيل منظمة التحرير الفلسطينية على أساس برنامج وطني فلسطيني شامل. أما موضوع السلطة فيأتي موضوعها تالياً كانعكاس لنضوج وضع المنظمة وبرنامجها السياسي الوطني الشامل.

النصر سلسلة في قنطرة، كلّما ازدادت تماسكاً ازدادت قوة؛ وتراخي أي حجر فيها يُضعفها إن لم يسقطها، كما الميل التاريخي الموضوعي الذي يتعزز في بيئة اجتماعية وسياسية متراصّة، حتى يهدر ولا يستعجل القطاف؛ فالرحلة طويلة، ومن ينتظر تحقيق المصالحة والوحدة سوف ينتظر طويلاً. ومازال السؤال مطروحاً عن وطنية الوحدة، وكيف نستثمر الوطنية الفلسطينية الناهضة، داخل المشروع الوطني الفلسطيني وليس خارجه أو على حسابه.

معركة «سيف القدس» والإعلام الإسرائيلي

حمزة البشتاوي*

مقدّمة:

بتاريخ 7/5/2021، والذي كان فيه العالم على موعد مع يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك، حيث يتم إحياء يوم القدس العالمي، بدأت قوات الجيش والشرطة الإسرائيلية باقتحام ساحات المسجد الأقصى في القدس، والاعتداء على المصلّين الذين انطلقوا بمسيرة وهم يهتفون للقدس؛ فتمّ ضربهم بالرصاص المعدني المغلّف بالمطّاط، ما أسفر عن إصابة أكثر من 250 من المصلّين المشاركين في المسيرة بجروح مختلفة. وقد تصاعدت المواجهات في يوم 10/5/2021، بعد اقتحام الشرطة الإسرائيلية للمسجد الأقصى والاعتداء على الصحفيين والمصلّين، والذي أدّى إلى إصابة أكثر من 300 فلسطيني بجراح. وبعد ظهر اليوم نفسه، نشرت كتائب الشهيد عزّ الدين القسّام بياناً أعطت فيه جيش الإحتلال مهلة تنتهي عند الساعة السادسة مساءً لسحب جنوده من المسجد الأقصى. وبعدما تجاهل الاحتلال هذا الإنذار، أطلقت الكتائب أولى الرشقات الصاروخية، معلنة بدء معركة سيف القدس؛ وقد ردّ عليها جيش الاحتلال الإسرائيلي بإطلاق عدوانه الوحشي على غزة تحت مسمّى عملية «حارس الأسوار».

في هذا البحث سيتم تناول دور الإعلام في معركة سيف القدس، وخاصة الإعلام الإسرائيلي المكتوب والمرئي والمسموع؛ إضافة إلى وسائل التواصل الاجتماعي، والعلاقة ما بين وسائل الإعلام والمؤسسات الأمنية والعسكرية في الكيان، وتجنيدها في المعركة إلى جانب الجيش بما يخدم أمن الكيان وصنّاع القرار فيه، الذين يستخدمون الإعلام التقليدي والحديث كآلة حربية فتّاكة لمهاجمة الآخر والتحريض عليه، مع السعي لاحتكار التغطية ورواية الأحداث، بالاستفادة من الفشل الذي مُني به الكيان في العام 2006،عندما نشطت وسائل إعلام عربية وعالمية ميدانياً على جانبي الحدود، ونقلت رواية مختلفة تدحض ما يروّجه الإعلام الإسرائيلي في الحرب، ممّا أدّى لإجراء تحولات في الخطط والإدارة والموازنات، وبما يخدم دور الإعلام الإسرائيلي في الحرب ومحاولة محو صورة الهزيمة التي تلازم الكيان منذ العام 2000.

* عضو اللجنة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة.

وقد استمرت صورة الهزيمة تلاحق الكيان، وصولاً إلى معركة سيف القدس، حيث تجنّدت مختلف الوسائل الإعلامية الإسرائيلية، المقروءة والمسموعة والمرئية والإلكترونية، خلف الجيش والحكومة، بحيث أصبح العاملون في وسائل الإعلام الإسرائيلية جنوداً في المعركة العسكرية أوالعدوان الذيُ يشنّ على كل الأرض الفلسطينية، مع استخدام الآلة العسكرية المدمّرة واستهداف المدنيين بالطائرات والدبابات في قطاع غزة، حيث كان الاعتبار الأمني ومواكبة عمل الجيش وحشد التأييد له هما الأولوية، مع الالتزام بالقرارات والتوجيهات التي تصدر عن الجيش والمؤسسة الأمنية الإسرائيلية ،وما تطلبه من استخدام التضليل والخداع في التغطية الإخبارية، وضخ الرواية الإسرائيلية بكثافة وتوزيعها على الوكالات العالمية. وقد ركّز الإعلام الإسرائيلي خلال معركة سيف القدس على ما يأتي:

1 – تجاهل انتهاك المستوطنين للمقدسات الإسلامية في القدس والمسجد الأقصى، وقيام المستوطنين، بغطاء من الجيش والشرطة، بالاقتحامات للمسجد الأقصى والاعتداء على المدنيين، ومحاولة طرد السكان من منازلهم، وخاصة في الشيخ جرّاح بالقوة، ومنع الفلسطينيين ،وخاصة داخل مدينة القدس، من إحياء مراسم يوم القدس العالمي الذي يصادف في الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك، الذي أعلنه الإمام الخميني في إيران.

2 – إظهار فصائل المقاومة الفلسطينية بأنها المعتدية، وأن (إسرائيل) معتدىً عليها، وأن الفلسطينيين هم من بدؤوا الحرب، والإسرائيليون يدافعون عن أنفسهم. وقد عمل الإعلام الإسرائيلي أيضاً على إظهار ما يرتكبه الجيش الإسرائيلي من جرائم كردّة فعل على (العنف) الفلسطيني، وذلك لتبرير ما يرتكبه هذا الجيش ضد المدنيين.

3 – استخدام أسلوب التكرار، بنقل خبر معيّن يخدم الرواية الإسرائيلية للحرب، وذلك بغرض غرس فكرة معيّنة في نفوس المتلقّين، مع اختراع صورة تتناسب مع الرواية والخبر المبرمج، الذي ومع الأسف الشديد، تقوم بعض وسائل الإعلام العربية بنسخه ونقله كما هو، مما يحوّل بعض تلك الوسائل إلى منصّة يستفيد منها الإعلام الإسرائيلي، الذي يركّز على معاناة الإسرائيليين وخوفهم من صواريخ المقاومة، وعدم ذكر الضحايا المدنيين الفلسطينيين؛ فهم أرقام فقط يتم تبريرها باعتبارها مجرّد أضرار جانبية.

4 – تركيز الإعلام الإسرائيلي والدعاية الإسرائيلية على الظهور في أكبر عدد من وسائل الإعلام، مع توفير عدد كبير من المتحدثين باللغة الإنكليزية، لإنكار الحقائق وتكرار الأكاذيب بهدف تبرير العدوان على غزة.

البعد الأمني وعسكرة الإعلام الإسرائيلي

تشكّل الرقابة العسكرية الإسرائيلية صلة الوصل وضابط الإيقاع الموجّه في العلاقة ما بين الإعلام الإسرائيلي والمستوى السياسي والأمني والعسكري في الكيان. وقد عمل الإعلام

الإسرائيلي خلال العدوان الأخير على غزة على تنفيذ كافة الأوامر العسكرية والأمنية التي كانت تصدر من غرفة عمليات خاصة تضم مجموعة من الضّباط، الذين يصدرون الأوامر ويحرّكون الإعلام تحت عنوان المصالح الأمنية ومتطلبات المعركة. وقد عملت غرفة العمليات الخاصة هذه على توجيه الإعلام حول كيفية التعاطي مع أخبار مثل قصف الأبراج السكنية، وخاصة البرج الذي يضم عدداً كبيراً من وسائل الإعلام، والتعتيم على حجم الأضرار والخسائر البشرية الإسرائيلية وأماكن سقوط صواريخ المقاومة؛ إضافة لعدم نشر بيانات وخطابات قادة المقاومة والمتحدثين باسمها. وبناءً على هذه التعليمات، أصبح المراسلون الإسرائيليون وكتّاب المقالات يتنافسون على إظهار عدائهم للشعب الفلسطيني والقوى الداعمة له ولمقاومته، عبر التحريض والدعوة إلى المزيد من القتل والدمار، مع إعطاء المعنويات للجيش والمستوطنين؛وظهر الإعلام الإسرائيلي في هذا السياق كإعلام متعطش للدماء والدمار.

ولدى مقارنة تغطية الإعلام الإسرائيلي للعدوان على غزة بتغطيته المواجهات التي شهدتها الضفّة الغربية ، كما تغطية أحداث الداخل المحتل في العام 48، يتضح وجود تركيز كامل وبديهي على غزة، في مقابل تغييب كامل تقريباً لأحداث الضفة، التي إذا ذُكرت تُقدّم على أنها مواجهات متفرقة وأحداث شغب، في موقع وسطيّ بين الطرفين؛ فيما تتركّز التغطية والمتابعة لأحداث الأرض المحتلة في العام 48، حول أنها تظاهراتٍ متفرقة خرجت عن السيطرة.

في التغطية والتعامل مع غزّة: توحي التغطية الإعلامية الإسرائيلية بأن مجمل أهل غزة هم مقاتلون؛ ثم يؤخذ من كلام الناس – بعد هدم بيوتهم وقصفها أو إثر حدوث مجزرة – الأقوال التي تفيد بأن أهل غزة يريدون العيش بسلام. ويتم ذلك باجتزاء الكلام، والهدف هو إظهار الجيش الإسرائيلي في موقع المخلّص لـ«أهل غزة» من المقاومة.

في المقابل، لم يحضر أهل الضفة في الصورة غالباً. لكن، برز بالتحديد فصل القدس وأحداثها عن أحداث الضفّة، وكأنّ مواجهات القدس كانت تحدث بمعزلٍ عن مواجهات الضفة. وغالباً ما كان يتم عرض متظاهري القدس على أنهم «سكّان» مثيرين للشغب وخارجين عن القانون.

كان فلسطينيو الداخل (48) الأوفر حظاً في حجم الضوء الملقى عليهم، لكن أيضاً بمعزلٍ عن القدس والضفّة وغزّة، من خلال عمل الإعلام الإسرائيلي كذراع للحكومة؛ فأبرز في مقابلٍ من اعتبرهم «المشاغبين» مواقف لعرب يؤيدون الحرب على غزة.

والهدف من ذلك هو توجيه رسالة للجمهور الإسرائيلي بأن العرب ليسوا جميعاً ضد الحرب، ما يخفّف من حدّة التنافر العام، ويُثبط عزيمة الذين خرجوا إلى الشوارع مع بداية معركة سيف القدس.

هل يعني ذلك أن الإعلام الإسرائيلي يؤثّر في اتجاهات الرأي العام الإسرائيلي، أم أنــه يتلاءم مع هذا الرأي العام؟ في وقت سابق، كان يمكن الميل في التحليل إلى الخيار الأول. لكن، نظراً للمنصّـــة التي أتاحتها شبكات التواصل أمام المواطنين، فإن الخـــيار الثاني يبدو أكثر دقّةً، نظراً لكمّ العنف الذي اتضح فيها، وصولاً إلى السخرية من جثث الشهداء والتشفّي بمقتل الأطفال؛ وهذا ما ركّز عليه الإعلام الإسرائيلي في إطار دعم ممارسات الجيش المحتل ورفع معنويات جنوده.

المصطلحات وقلب المفاهيم

في إطار التحريف والكذب والتضليل وتشويه الحقائق، اعتمد الإعلام الإسرائيلي، كعادته، وخلال معركة سيف القدس، على نشر مصطلحات حربية قديمة وجديدة خاصة به وترويجها عالمياً. ومن أبرز المصطلحات والأساليب التي استخدمها وروّج لها الإعلام الإسرائيلي:

1 – المخرّبون والإرهابيون بدلاً من المقاومين.

2 – الفلسطينيون بدلاً من الشعب الفلسطيني.

3 – العمليات الوقائية بدلاً من التوغل والاقتحام.

4 – المواطنون بدلاً من المستوطنين، والبلدات بدلاً من المستوطنات.

5 – أعمال هندسية بدلاً من تجريف الأراضي.

6 – خطوات أمنية بدلاً من عمليات عقاب وانتقام.

7 – عمليات إحباط موضعية بدلاً من تصفية واغتيال.

8 – استخدام صيغة المبني للمجهول، كما في كلمة (قتل) ،لإبقاء الفاعل مجهولاً وتقليل مسؤولية الجيش الإسرائيلي.

9 – تصوير الأطفال والنساء والشيوخ الفلسطينيين في منازلهم على أنهم دروع بشرية وجزء من المقاومة، ويجب التخلص منهم حتى لو كانوا لا يحملون السلاح.

10 – تبرير وترويج سياسة الاغتيالات خلال العدوان، واعتبارها عمليات مشروعة ،ووصفها بالاستباقية ؛كما يتكفل الإعلام الإسرائيلي بالتمهيد لتلك العمليات من خلال آلة الحرب النفسية المبرمجة.

11 – تجاهل نشر صور انتشال جثث الأطفال من تحت البيوت المدمّرة، والتركيز على أخبار مثل قصف مبنى أو موقع للمقاومة، وصور لجنازات يتقدمها عدد كبير من المسلّحين.

وإضافة لما ذكر، يركّز الإعلام الإسرائيلي على العمل لبث الثقة ورفع المعنويات، وخاصة لدى الجنود، حيث تتولّى (هيئة الإعلام القومي) إدارة وبث الأخبار المناسبة لهم، وحجب المعلومات عنهم؛ وهي كانت قد أقامت قبل انطلاق معركة سيف القدس دورات مكثّفة للمتحدثين العسكريين باسم الحكومة والوزارات والعاملين في مختلف وسائل الإعلام، بهدف تحويلهم إلى أبواق تخدم الجيش والحكومة خلال الحرب، وفق استراتيجية إعلامية تنفّذها غرفة العمليات الخاصة. وتعتمد هذه الاستراتيجية على الادعاء بأن العمليات العسكرية هدفها الردع، وأنها تستهدف حماس وليس غزة والمدنيين والمستشفيات والمدارس والجامعات والأبراج السكنية والبنى التحتية؛ وفي إطار الخداع، تُستخدم كلمة الردع بعد العجز وعدم القدرة على الحسم؛ إضافة لتعمّد التركيز على حركة حماس وكتائب الشهيد عزّ الدين القسام، والتقليل من ذكر بقية فصائل المقاومة، كالجهاد الإسلامي وسرايا القدس والجبهة الشعبية وكتائب أبو علي مصطفى والجبهة الديمقراطية وكتائب المقاومة الوطنية وألوية الناصر ولجان المقاومة وكتائب الشهيد جهاد جبريل؛ والقول إن الهدف هو حماس وليس غزة. كما تركّز وسائل الإعلام الإسرائيلية على التحريض على إيران وحزب الله، بسبب ما يقدّمونه من دعم للشعب والمقاومة في فلسطين، مع التقليل من ذكر اسم حزب الله كونه يذكّرهم بمرارة الهزيمة والانكسار. لكنّ الإعلام الإسرائيلي مستمر بعمليات تزييف الوعي كما قال أحد العاملين فيه، وهو الباحث يزهار يئير ،الذي قال: قدرة وسائل الإعلام على تشكيل وعي زائف لا تتطلب الكذب بالضرورة؛ بل يمكن تحقيق النتائج أيضاً عن طريق حجب معلومات وتشجيع الجهل.

كما عمد الإعلام الإسرائيلي إلى شيطنة الفلسطينيين والمقاومة، وبث الشائعات واختلاق أخبار وأحداث دون الإشارة إلى أي مصدر يؤكدها، مع الحديث عن تحسّن علاقة الكيان الإسرائيلي مع عدد من الدول العربية بعد توقيع عدد من اتفاقيات التطبيع معها. وفي السياق، يعمل الإعلام الإسرائيلي بقوّة على تبديل الأولويات في الوعي العربي تحديداً، بحيث تصبح قضية فلسطين هامشية في الوعي وفي الأولويات.

الإعلام الإسرائيلي والخلفيات الأمنية

يُقدّر بأن 95% من العاملين في الإعلام الإسرائيلي هم مجنّدون ومرتبطون مباشرة بالرقابة العسكرية بالشكل وبالمضمون؛ فهم مرتبطون بأجهزة الأمن الإسرائيلية: الموساد وأمان والشاباك؛ وكل العاملين في مجال الإعلام الإسرائيلي لا يفرّقون بين المهنة والارتباط الإيديولوجي والأمنية، وهم ينقلون الأحداث بناءً على هذا الارتباط. ويتنافس العاملون في الإعلام الإسرائيلي بمدى عدائهم للشعب الفلسطيني والمقاومة، وقد أدّوا دوراً تحريضياً خاصة أثناء معركة سيف القدس، حيث كانوا شركاء للجيش في العدوان على غزة، متجاوزين الدور الصحفي والإعلامي، مع حصر عملهم بتنفيذ أوامر الجيش والعمل كناطقين باسمه، وكشركاء في المعركة، من خلال إظهار الفلسطينيين بأنهم معتدون، وأن الإسرائيليين معتدىً عليهم؛ ولذلك هم يقومون بالدفاع

عن أنفسهم؛ هذا إضافة لظهور الكتّاب والمحلّلين الإسرائيليين على القنوات الإسرائيلية وعدد من القنوات التي تتبنّى الرواية الإسرائيلية، وخاصة (قناة الحرّة) وقناة (العربية)، وذلك بهدف الترويج للدعاية الإسرائيلية. وقد حرص عدد من القنوات الناطقة باللغة العربية على استضافة عدد من المراسلين العسكريين والمحلّلين الإسرائيليين ليقدّموا الرواية الإسرائيلية بخطاب عدائي للفلسطينيين، والاصطفاف بشكل علني إلى جانب المؤسسة العسكرية والأمنية، واستخدام مفردات ومصطلحات تعدّ الكيان الإسرائيلي ضحية، وأن الفلسطينيين هم القتلة والمذنبون. وقد كانت إطلالات الكتّاب والمحللين الإسرائيليين على وسائل الإعلام المختلفة تتم بإدارة غرفة العمليات الخاصة، وتحت إشراف كل من وزارتي الدفاع والخارجية ومكتب رئيس الوزراء والأجهزة الأمنية. ومن هذه الخلفية تعاطى الإعلام الإسرائيلي مع قصف وتدمير برج الإعلام في غزة بالقول إن المقاومة تستخدم البرج لجمع المعلومات وإنتاج وتخزين الصواريخ؛ وهذه رواية لم تعتمد المهنية، بل هي اعتمدت فقط على الكذب والتضليل. ومن شدّة تزييف الأحداث، قال أحد الكتّاب الإسرائيليين، أوريت نسيئيل، إن وسائل الإعلام الإسرائيلية لا توفّر سوى صورة حرب ناقصة.

الإعلام الإسرائيلي وصورة النصر

يسعى الإعلام الإسرائيلي، بعد الهزائم المتكررة التي مُني بها الجيش الإسرائيلي، إلى إنتاج صورة مغايرة ترمّم صورة هذا الجيش بمفاهيم وأساليب يتم إعدادها بشكل دعائي على الطريقة الهوليوودية، وبخطاب إعلامي يدعم تلك الصورة. لكن الإعلام الإسرائيلي فشل في تركيب صورة نصر للعدوان على غزة خلال معركة سيف القدس؛ وفي هذا السياق قال الصحافي الإسرائيلي أرييلا هوفمان: لقد فشلنا في إنتاج صورة انتصار، رغم المطاردة والتركيز ودفع المبالغ الكبيرة للحصول عليها. ولكنّنا وقعنا في معادلة: لا توجد صورة نصر لا يوجد إنتصار؛ تمّ التركيز في الأيام الأخيرة على صورة تدمير عدد من الأبراج السكنية في غزة قبل الإعلان عن وقف لإطلاق النار، ثم تبيّن أن لا جدوى من اللهاث وراء هذه الصورة بسبب التكلفة الباهظة، والتي لا يمكن تحمّلها من أجل تلك الصورة التي فشل الإعلام الإسرائيلي في إنتاجها؛ إلا أنه بقي كما أراد مؤسس الحركة الصهيونية تيودور هرتزل بأن يكون درعاً وسلاحاً في يد الجيش؛ وبقي أيضاً كما قال ديفيد بن غوريون: إن وظيفة الإعلام الإسرائيلي هي الدفاع عن المشروع الصهيوني بدعاية وصورة مركّبة تتناسب مع متطلبات هذا المشروع، وأساسه الجيش الذي لا يُقهر، والمتفوّق على كل جيوش المنطقة؛ لكن كل محاولات صناعة صورة نصر في غزة فشلت، رغم استخدام كل الإمكانيات التكنولوجية والاستعانة بخبرات إعلامية دولية. وأمام هذا الفشل استمر الإعلام الإسرائيلي ببث ادعاءاته الكاذبة عبر كافة وسائل الإعلام، معتمداً على الإعلاميين من ذوي الخلفية الأمنية الذين يُتقنون فن الكذب والتحريض واختراع أخبار وصور واهية، ونفي صورة الهزيمة

التي حلّت بالكيان في معركة سيف القدس؛ إضافة لمعالجة تداعيات تراجع وضعف الكيان رغم ما جرى قبل معركة سيف القدس، من الترويج لما يسمّى مكانة الكيان الإسرائيلي في المنطقة بعد توقيع اتفاقيات التطبيع مع البحرين والإمارات. إن الصورة التي خرج بها الكيان بعد المعركة مع المقاومة، التي أثبتت قدرتها على تجاوز القبّة الحديدية واستهداف مشاريع الطاقة، مثل حقل تمار وغيره من المشاريع، جعلت الكثيرين يعيدون النظر في الصورة التي يروّجها الكيان الإسرائيلي عن نفسه، والتي لم تُقنع سوى بعض المطبّعين المخدوعين أصلاً بالدعاية الإسرائيلية الواهية، والتي ترفض الاعتراف بانهيار صورة الجيش الذي لا يُقهر، رغم أن هذا الانهيار بات حديث العالم كله؛ وكذلك اتهام الإسرائيليين لحكومتهم بأنها عديمة الجدوى وتتخبط بالفشل والعجز؛ كما أن بعضهم اتهم الإعلام الإسرائيلي بأنه لم يقدّم صورة تعبّر عن قوة الجيش الإسرائيلي وتفوّقه؛ بل قدّم صورة أظهرت دمويته وعجزه عن ضرب المقاومة، حيث جرى التركيز على تدمير المباني السكنية واستهداف المدنيين؛ و لم يستطع الإعلام الإسرائيلي في صراع الصور الحصول على صورة نصر، رغم كل ما بذلته "هيئة الإعلام القومي الإسرائيلي" في مجال تضخيم فعالية القبة الحديدية وسلاح الجو، والتعتيم على صورة الصمود وإبداع المقاومة في الميدان خلال معركة سيف القدس. وبما أن الإعلام الإسرائيلي فشل في إنتاج صورة نصر للجيش الإسرائيلي خلال معركة سيف القدس، فإن التوجّه رسا على القيام بمهمتين، وهما:

أ– التعتيم، ويتولاّها الإعلام الإسرائيلي.

ب– التدمير، ويتولاّها الجيش الإسرائيلي.

أ- التعتيم:

يستخدم الإعلام الإسرائيلي نفس أساليب الأجهزة الأمنية، كنشر الشائعات والتعتيم الإعلامي وتكرار الحديث عن بعض الظواهر لأسباب أمنية بثوب إعلامي. ومن أجل تحقيق أهدافه، يقوم الإعلام الإسرائيلي بالتعتيم على جانب والتركيز على جوانب ووسائل أخرى لتحقيق أهدافه بصورة مرحلية، عبر إثارة الإشاعات والبلاغات الكاذبة والإشاعات في صفوف الفلسطينيين بهدف زرع الخوف والرعب والتمزق وهزّ ثقتهم بأنفسهم وبمقاومتهم. ولا يستثني الإعلام الإسرائيلي في حربه التأثير على معنويات الفلسطينيين، وخاصة في الأراضي المحتلة عام 1948 والضفة وغزة والشتات.

ب- التدمير:

ركّز الجيش الإسرائيلي خلال العدوان على غزة على استهداف البنية التحتية لوسائل الإعلام، إذ قامت الطائرات الإسرائيلية بتدمير أربعة أبراج سكنية تضم مقرّات ومكاتب لمؤسسات صحفية

محلية وعربية ودولية، من أجل كسب

معركة الرواية،من خلال تحييد وسائل الإعلام عن مهمة نقل صورة الأوضاع والمجازر التي يرتكبها، وتغييب الرواية الفلسطينية.

ومن المؤسسات الإعلامية التي جرى تدميرها مقار شبكة الجزيرة الإعلامية القطرية ووكالة أسوشيتد برس الأمريكية، عبر تدمير كامل لبرج الجلاء وسط مدينة غزة، ليصل إجمالي عدد المؤسسات التي جرى تدمير مقارّها بشكل كامل خلال معركة سيف القدس إلى 25 مؤسسة صحفية وإعلامية.

وقد تجاوز عدد المؤسسات الصحفية المستهدفة في هذه المواجهة ما تم تدميره في حرب غزة الأخيرة صيف 2014، والتي استمرت 51 يوماً، وتضررت خلالها 23 مؤسسة صحفية.

بينما في الحرب الأخيرة تجاوز «عدد المنشآت الصحفية والإعلامية التي تضررت بشكل جزئي وكلي 40 مؤسسة إعلامية، من بينها مكاتب لقنوات تلفزة إعلامية محلية وعربية ودولية ناطقة باللغات الإنجليزية والفرنسية، إضافة إلى مؤسسات إذاعية وصحف محلية، ومؤسسات الإعلام الجديد، ومكاتب إعلامية تقدّم خدمة البث الفضائي».

وتقدّر «الخسائر المادية في الاعتداء على وسائل الإعلام بعشرات الملايين من الدولارات، من ضمنها فقدان معدّات التصوير، وتدمير أبراج الإرسال والاستقبال، وتدمير ترددات البث الهوائي، وممتلكات خاصة بهذه المؤسسات، كسيّارات البث المتنقلة».

أما «الخسائر البشرية، فتمثّلت في إصابة عشرة صحفيين بجراح متفاوتة أثناء تغطيتهم للأحداث الميدانية، مع استهداف مباشر للصحفيين أثناء قيامهم بمهامهم في نقل الحدث على الهواء مباشرة؛ إضافة إلى تعمّد استهداف الصحفيين أثناء نقلهم لصور ومعاناة المدنيين».

ويشير هذا السلوك، في تركيز الاستهداف على المؤسسات الصحفية، إلى تأثّر «إسرائيل» الكبير بخسارة معركة «الرواية»، حيث استطاعت المقاومة الفلسطينية أن تسجّل عدة إنجازات، وأبرزها حالة التضامن الشعبي العربي والدولي معها. ومن مؤشرات ذلك خروج مظاهرات في العشرات من المدن العربية والأوروبية والأمريكية تندّد بالاستهداف الوحشي الذي يتعرض له المدنيون في غزة؛ إضافة إلى حشد الجماهير في الضفة الغربية والداخل الفلسطيني بمواجهة التركيز الإسرائيلي في العمليات العدوانية على غزة.

كذلك، كان الإعلام الفلسطيني بمواجهة الإعلام الإسرائيلي الأكثر تأثيراً في المعركة الإعلامية التي لا تقل أهمية عن المعركة الميدانية، حيث كان التخبّط الإسرائيلي واضحاً بعجزه عن السيطرة

على الصورة التي تأتي من غزة، من خلال ما تتناقله وسائل الإعلام من صور لقصف وحشي مُمنهج يستهدف المدنيين. كما فقد الكيان الإسرائيلي السيطرة على الجبهة الداخلية، من خلال عشرات آلاف الصور والمشاهد التي كان يتناقلها الجمهور الإسرائيلي عن قصف المقاومة لمناطق الداخل، ما تسبّب في اهتزاز صورة (إسرائيل) أمام حلفائها في العالم.

كما ظهر الغباء في السلوك الإسرائيلي السياسي والعسكري عبر تكرار الاستهداف للمؤسسات الإعلامية في كل جولة تصعيد، رغم أن النتيجة هي ذاتها، مع استمرار نقل الصورة الحيّة باستخدام أدوات أخرى نظراً للبدائل المتوفرة، ومن أهمها منصّات التواصل الاجتماعي التي جعلت كل مواطن بمثابة وسيلة إعلام، حيث يمكنه أن يؤدّي ذات الهدف لوسيلة الإعلام والاتصال الخارجي».

ومن أوجه المقارنة بين العدوان الحالي وما سبقه من جولات قتال سابقة، عدم تفريق (إسرائيل) بين وسائل الإعلام المحلية والدولية.ففي السابق كانت (إسرائيل) تركّز على استهداف وسائل الإعلام المحلية باعتبارها مؤسسات تابعة للفصائل الفلسطينية، ولكن هذه المرّة شمل الاستهداف الإسرائيلي وكالات ووسائل إعلام دولية، ما زاد من حدّة الغضب على السلوك الهمجي الإسرائيلي.

إن كل ما ذُكر يؤكد بأن معركة الصورة خسرتها (إسرائيل). وتبقى معركة الصورة والرواية مهمة جداً. والاحتلال يعوّل دائماً على وقف الكاميرا لتغطية، مع البحث عن صورة النصر المفقودة.

الانحياز الغربي للإعلام الإسرائيلي وروايته

اعتمد الإعلام الإسرائيلي خلال معركة سيف القدس أسلوبه المتّبع، وهو التحريض على الفلسطينيين والدول والشعوب والقوى الداعمة لهم ولمقاومتهم، بالتوازي مع اعتماد روايته المزيفة التي ينحاز إلى سرديتها ومضمونها بعض الإعلام الغربي، الذي يتّبع أيضاً أسلوب التضليل والخداع وتحريف الوقائع والأحداث؛ وهذا يشير إلى تأثير كبير للإعلام الإسرائيلي، وخاصة خلال معركة سيف القدس ،على السياسة الإعلامية الغربية وأفرادها المنحازون للرواية الإسرائيلية. وقد ظهر ذلك منذ بداية الأحداث الأخيرة،والتي بدأت بعد محاولات الاعتداء على حيّ الشيخ جرّاح، وتهجير سكّانه الأصليّين، وإحلال مستوطنين يهود بدلًا منهم؛ وكذلك اقتحام المسجد الأقصى.

لكن صحيفة «دير شبيغل» الألمانية، في تاريخ 12 أيّار (مايو)، تحدثت عن المعركة، فصوّرتها على أنّها اعتداء من الفصائل الفلسطينية على المناطق المحتلّة عام 1948 دون ذكر سياق للمعركة،

ودون التطرّق إلى التسلسل الزمنيّ للأحداث قبلها. لم تورد الصحيفة أيّ مادّة صحافيّة قبل ذلك تتعلّق بحيّ الشيخ جرّاح، ومحاولات الاحتلال تطهيره عرقيًّا.

في مقال افتتاحي عنونته صحيفة «دير شبيغل» بـ «تصعيد في الشرق الأوسط: حَماس تطلق ألف صاروخ على إسرائيل خلال يومين»، تناولت الصحيفة معركة «سيف القدس» وكأنّها بلا جذور، ولا سيّما أنّ الكاتب اعتمد على تصوير الاحتلال على أنّه ضحيّة صواريخ المقاومة، عبر بدء المقال بـ «ردّت إسرائيل على إطلاق صواريخ من قِبَل حماس بغارات جوّيّة هي الأعنف».

كما عرض حساب وكالة «رويترز» على «تويتر» صورة لجنديّ إسرائيليّ يقف خلفه مستوطن، وهو يصوّب سلاحه ضدّ فلسطينيّين، لإظهار أنّ الفلسطينيّين يرشقون سيّارة المستوطن بالحجارة، ويتسبّبون في اصطدامها في ظلّ الاحتجاجات في القدس. حرّفت «رويترز» المشهد الّذي اجتزأت منه هذه الصورة، التي تعود إلى مقطع فيديو اعتداء المستوطن بسيّارته على الفلسطينيّين، ودهسهم في الشارع، مع وجود قوّات شرطة سارعت إلى حمايته، في محاولة لإظهار الإسرائيليّين أنّهم يدافعون عن أنفسهم، دون ذكر سياق المشهد والأسباب الّتي أدّت إليه.

أمّا وكالة «دويتشه فيله DW» الألمانية، فقد عرضت فيديو للقصف الإسرائيليّ على منازل الفلسطينيّين في غزّة، وصوّرته على أنّه «معارك»، مع الإشارة إلى أنّ عدد الضحايا الفلسطينيّين حتّى نشر الفيديو هو 20، ومن ضمنهم 9 أطفال، دون التطرّق إلى سبب هذه المعارك وجذورها، مع عدم توضيح أنّ الاحتلال هو سبب مقتلهم. مساواة الضحيّة والجلّاد في هذا الخبر واضحة، على الرغم من أنّ القدرة القتاليّة غير متكافئة.

وقد لعبت قناة "الحرّة" الأميركية دوراً مكمّلاً لدور الإعلام الإسرائيلي في المعركة، عبر إفساح المجال للناطقين بلسان الجيش الإسرائيلي، لتنشر الرواية الإسرائيلية.

ورد في حساب «نيويورك تايمز» على تويتر، خبر مفاده أنّ غزّة أمطرت إسرائيل بالصواريخ، بينما يتعارك البوليس الإسرائيليّ مع المحتجّين في القدس، الذي ادّعت الصحيفة فيه أنّ التصعيد الأخير في القطاع هو نتيجة لصواريخ أطلقتها المقاومة الفلسطينيّة فجأة، دون ذكر سياق الحدث. ومعروفة «نيويورك تايمز» بانحيازها الواضح ل (إسرائيل)، كما ظهر ذلك في حروب 2006 و2008 و2014، وانتهاءً بـ 2021.

قد تعمد بعض المواقع والحسابات الخاصّة بصحف عالمية، مثل «نيويورك بوست»، إلى التضليل الإعلامي، بما يتناسب مع الأجندة الإخباريّة الخاصّة بها وبالمموّلين، عبر تحريف عناوين أو خداع المتابعين، كما الحال في منشور نشره حساب «نيويورك بوست» على تويتر، وجاء فيه: "حماس تنفّذ غارة جوّيّة راح ضحيّتها 20 شخصًا، بينهم 9 أطفال في إسرائيل"، وهو الرقم

الذي أعلنته وزارة الصحّة الفلسطينيّة حول مقتل 20 فلسطينيًّا، إثر غارات إسرائيلية، وليست «حَماس» مَنْ نفّذتها؛وذلك في محاولة لتجريم المقاومة وإزاحة العبء الإجراميّ عن الاحتلال، وتبرئته من دماء الفلسطينيّين.

وهذا يظهر تواطؤ الإعلام الغربي المركزي، وانحيازه المطلق لتبنّي السرديّة الإسرائيليّة القائمة على التزييف والتمويه للحقائق، وإطلاق يد الكذب والتلفيق لحرف مسار حقيقة ما يجري على الأرض. ولا يخفى على أحد المصالح والولاءات بين الاحتلال الإسرائيلي وبعض وسائل الإعلام الغربية، التي تُعَدّ حاضنة أساسيّة للروايّة الإسرائيليّة.

الخطاب الإعلامي الفلسطيني في معركة سيف القدس

تميّزت فصائل المقاومة الفلسطينية ليس فقط في مجال المواجهة العسكرية، بل حتى في مجال المواجهة الإعلامية مع الكيان الإسرائيلي.

وبرزت أهمية إعلام فصائل المقاومة الفلسطينية من خلال ما يأتي:

1 – تقديم المعلومات الميدانية الدقيقة، لمنع كيان الاحتلال من تقديم معلومات تناسب مخططاته.

2 – رفع الروح المعنوية طوال فترة الحرب، خصوصاً بعد المجازر التي ارتكبها الاحتلال بحق المدنيين، في مخيم الشاطئ وما دمّره من أبراج سكنية.

3 – الإسهام في شن الحرب النفسية ضد الاحتلال وجنوده ومستوطنيه.

4 – غرس عقيدة التضحية والبذل والعطاء والتهيئة النفسية والمعنوية.

5 – تبيان أهداف معركة «سيف القدس» للشعب، مقابل الكشف عن مخططات جيش الاحتلال، ما جعل الجبهة الداخلية للمقاومة متماسكة وموحّدة، بعكس ما ظهر من تصدعات في الجبهة الداخلية للكيان.

6 – طرح المواقف والشروط السياسية والتطورات.

7 – التأكيد على قدرات ومعادلات المقاومة الردعية.

لقد شكّل إعلام كتائب الشهيد عز الدين القسام علامة فارقة في هذه الحرب، حيث توجّه بأكثر من 132 مادة إعلامية (بيانات – تصريحات – خطابات – تقارير معلوماتية – فلاشات فيديو – تقارير فيديو)؛ بالإضافة إلى ما كان يوجّهه الناطق الرسمي باسمها «أبو عبيدة» من تغريدات ومواقف كانت فعّالة جداً (مثال: إعلان حظر التجوال في تل أبيب لمدة ساعتين)،

حتى عدّه معظم المستوطنين مصدراً صادقاً للمعلومات الدقيقة، بعكس متحدثي جيش الاحتلال الإسرائيلي.

ووجّهت كتائب القسام خطابات عبر وسائل إعلامية متعددة، مثل الموقع الإلكتروني، والقنوات التلفزيونية، إضافة لتويتر وتلغرام،مستفيدة من سبعة أنواع من الخطاب الإعلامي:

1 – البيانات الرسمية: 55 بياناً، أعلنت فيها عن العمليات العسكرية المختلفة.

2 – تقارير معلوماتية: 20 تقريراً حول أهم الأحداث التي جرت يومياً، بالإضافة الى تقارير خاصة عن نتائج عمليات القصف على الأهداف الاسرائيلية.

3 – فيديو خاص: 26 فيديو لإظهار عمليات استخدام أسلحة نوعية وعمليات نفّذتها الكتائب، إضافة لفيديوهات تظهر خسائر الكيان جرّاء سقوط الصواريخ.

4 – فلاشات فيديو: 8 فلاشات تضمّنت رسائل تحذيرية لكيان الاحتلال.

5 – تصريحات صحفية وخطابات: 6 تصريحات لأبرز القيادات السياسية في الحركة.

6 – الصور: نشر صور فوتوغرافية للشهداء، وأكثر من 80 صورة للدمار في الجبهة الداخلية للكيان.

7 – الناطق الرسمي باسم الكتائب «أبو عبيدة»: والذي يُعدّ أساس هذه الجهود الإعلامية الناجحة، حيث ظهر في 15 موقفاً بارزاً، تنوعت ما بين مجموعة تغريدات على تويتر وتلغرام، بالإضافة إلى تصريحات تلفزيونية وكلمات مصوّرة.

أما إعلام سرايا القدس، فاستطاع أن يتميز ويحضر بقوة ويتكامل مع إعلام القسام، متوجهاً بأكثر من 84 مادة إعلامية (بيانات – تصريحات – خطابات – تقارير معلوماتية – فلاشات فيديو)؛ بالإضافة إلى ما كان يوجّهه الناطق الرسمي باسمها «أبو حمزة».

كما وجّهت السرايا خطابها عبر وسائل إعلامية متعددة، مثل الموقع الإلكتروني، والقنوات التلفزيونية؛ إضافة لتويتر وتلغرام، مستفيدة من خمسة أنواع من الخطاب الإعلامي:

1 – البيانات الرسمية: 26 بياناً، أعلنت السرايا فيها عن العمليات العسكرية المختلفة وعن مواقفها السياسية.

2 – تقارير معلوماتية: 15 تقريراً لعرض أهم الأحداث التي جرت يومياً، في ساحات المواجهة الثلاث.

3 – فيديو خاص: 20 فيديو حول عمليات استخدام أسلحة نوعية وعمليات نفّذتها السرايا، وفلاشات تحذيرية للكيان.

4 – الناطق الرسمي باسم السرايا «أبو حمزة»: ظهر في 12 موقفاً بارزاً، تنوعت ما بين مجموعة تغريدات على تويتر وتلغرام، بالإضافة الى مؤتمر صحفي تلفزيوني وكلمات مصوّرة.

5 – تصريحات صحفية وخطابات: 14 تصريحاً لأبرز القيادات في الحركة، ولقائد عسكري في سرايا القدس.

- انحياز بعض العرب للإعلام الإسرائيلي وروايته

رغم تفاعل عدد من الدول العربية مع معركة سيف القدس، وتبنّي وسائل إعلامها رواية الشعب والمقاومة في فلسطين بمواجهة العدوان، وما يبثّه الإعلام الإسرائيلي من أخبار لتبرير عدوانه وتمرير روايته ،حيث تميزت دول مثل تونس والجزائر وموريتانيا وسوريا ولبنان والعراق والأردن بالتفاعل والتضامن، إلا أن بعض الإعلام الرسمي العربي والقنوات التابعة له روّجت في تغطيتها للرواية الإسرائيلية، وفتحت الهواء للمحلّلين والناطقين العسكريين الإسرائيليين للحديث عن معركة سيف القدس، مع تركيزها على التهويل من حجم الخسائر جراء العدوان على غزة، وإظهار الجيش الإسرائيلي بأنه جيش قوي واستثنائي لا يمكن هزيمته، وأن الصواريخ التي تطلقها المقاومة الفلسطينية لا تكفي لإحراز تقدم، بل هي ذات تأثير محدود، وأن القبول والاعتراف بالكيان، والرهان على الإدارة الأمريكية ومشاريع التسوية يكفي لتجنّب الحرب، وللتماهي مع الرواية الإسرائيلية بالهجوم على إيران بسبب وقوفها إلى جانب الفلسطينيين ومقاومتهم وتوفير كلّ مقوّمات الصمود والنصر لهم.

إعلام الدول المطبّعة في المعركة

مارس إعلام الدول العربية المطبّعة مع الكيان دوراً خطيراً خلال معركة سيف القدس ،حيث عملت وسائل الإعلام في هذه الدول أوتلك المرتبطة بها، على تشويه صورة المقاومة وتجميل صورة الاحتلال وتبرئته من قتل الفلسطينيين واحتلال أرضهم وتدمير بيوتهم، وتقديم قادة الاحتلال كمسؤولين سياسيين يمثّلون دولة لها وجودها الطبيعي، وليس كياناً غير شرعي ومحتل يرتكب المجازر والاعتداءات؛ وقد استضافت هذه الوسائل الإعلامية خلال المعركة مسؤولين سياسيين وأمنيين وناطقين عسكريين باسم الجيش الإسرائيلي، ولم يتم استضافة مسؤولين وشخصيات مقرّبة من المقاومة. ويمكن فهم هذا الدور الخطير بأنه مرتبط بالعلاقات القديمة والمعلنة حديثاً بين هذه الدول المطبّعة والقيادات الإسرائيلية العسكرية والأمنية؛ وهو مرتبط أيضاً بالسياسة الإعلامية المتّبعة في تلك الدول، والتي لا يمكن أن تتحدث عن الشركاء كمجرمي حرب، ولأن هذه الدول نفسها، وخاصة المملكة العربية السعودية، قد ارتكبت جرائم حرب خلال عدوانها على اليمن. من هنا لا يمكن أن يصف الشركاء بعضهم بعضاً كمجرمي حرب؛ بل كان الإعلام الخليجي يبرّر

العدوان على غزة خلال معركة سيف القدس، ويتبنى الرواية الإسرائيلية ويدافع عنها. وبدل الحديث عن صمود وعذابات الشعب الفلسطيني ومقاومته دفاعاً عن أرضه وعن القدس، استمر الإعلام المرتبط بالدول المطبّعة بالحديث عمّا يسمّيه خطر إيران وأهمية العلاقات والتطبيع مع الاحتلال ، عبر استخدام آلة الدعاية الإسرائيلية المحترفة التي تعمل بالتواطؤ مع هذا الإعلام على كي الوعي الفلسطيني والعربي من خلال الصدمة والترويع، وبطرق مختلفة، لإظهار القضية الفلسطينية كعبء يجب التخلص منه. وقد نشر الإعلام الإسرائيلي مقالات وتقارير لكتّاب عرب يؤيّدون التطبيع؛ كما نشر إعلام الدول المطبّعة أخباراً وتقارير نقلاً عن موقع (التواصل) التابع لوزارة الخارجية الإسرائيلية وموقع (المصدر) التابع لوحدة الإعلام الموجّه في جهاز الشاباك. كما استخدم الإعلام الإسرائيلي خلال معركة سيف القدس بعض ما تم بثّه على وسائل إعلام الدول المطبّعة كأدلّة على دعم تلك الدول للعدوان على غزة والرغبة بتطبيع العلاقات وتطويرها، وتركيزها الدائم على مهاجمة إيران ومواقفها الداعمة للقضية الفلسطينية؛ كما قام الإعلام الإسرائيلي بنشر وإعادة نشر مقالات وتصريحات لشخصيات عربية تدافع عن ما يقوم به الاحتلال كونه دفاعاً عن النفس. وركّزت تلك الوسائل الإعلامية أيضاً على نقل تغريدات المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي أفيخاي أدرعي، والمتحدث بإسم الحكومة للإعلام العربي أوفير جندلمان؛ وهذا يعبّر عن مدى اختراق الإعلام الإسرائيلي لتلك الوسائل الإعلامية وتسخيرها لمصلحته، واستخدامها كأداة لإيصال وجهة النظر الإسرائيلية إلى الدول العربية والعالم. وخلال معركة سيف القدس، تبيّن اتساع ظاهرة اختراق الإعلام الإسرائيلي للإعلام العربي، من خلال تغطية مجريات العدوان وإفساح المجال لنشر الرواية الإسرائيلية؛ لا بل أن بعضها كان منحازاً لرواية الاحتلال والعدوان، وبعضها كان يعرض مجريات معركة سيف القدس والعدوان على غزة كخبرٍ ثانٍ أو ثالث، مع التخفيف من وطأة العدوان، وكأنّ المهمة الأساسية لإعلام الدول المطبّعة هي صهينة الشارع العربي وتغييب الوعي لديه. وقد ركّزت تلك الوسائل الإعلامية،أثناء تغطيتها للمعركة، على استخدام المصطلحات والمعايير الآتية:

أ– التركيز على الدعاية والرواية الإسرائيلية، التي تسوّق بأن الصراع أوالمعركة الحالية تدور بين طرفين متساويين من حيث الأهداف والقوة والعتاد، مع الحديث عن تصعيد متبادل والحرب في غزة بدلاً من الحرب على غزة.

ب– عدم ذكر مصطلح العدوان الإسرائيلي رغم كل ما تعرضت له غزة من قصف وتدمير.

ج– عدم تركيز الضوء خلال التغطية على معاناة أهالي غزة بسبب القصف والحصار.

د– عدم تحميل الاحتلال الإسرائيلي مسؤولية الحرب والعدوان، من خلال محاولة اتهام المقاومة الفلسطينية بأنها هي التي ترفض الحلول وتتسبب بإزهاق أرواح المدنيين.

هـ عدم استخدام مصطلح شهداء، واستبداله بمصطلح قتلى لإطفاء مشاعر التضامن مع المقاومة والقضية الفلسطينية.

و– استضافة مسؤولين إسرائيليين والترويج لروايتهم، وإعطاؤهم المجال لبث تصريحاتهم المعادية، والتي تصف المقاومة بالإرهاب ؛ ويترافق ذلك مع تغييب لوجهة النظر الفلسطينية.

ز– محاولة التأثير على المشاهد العربي، وجعله يتقبل التعاطف مع القتلى الإسرائيليين المحلين، والقول إن أمنهم وحياتهم مهدّدة بسبب الصواريخ.

ح– زرع الفتن والإشاعات الكاذبة وبث الكراهية تجاه الشعب الفلسطيني ومقاومته والقوى الداعمة لهما. وقد قامت قناة «العربية» أثناء العدوان الإسرائيلي على غزة ببث شائعة تقول إن عدداً من قيادات المقاومة فرّوا مع عائلاتهم إلى مصر؛ وهذا ما دفع الفلسطينيين ووسائل إعلامهم الرسمية والخاصة للرد على تلك الشائعة، متّهمين قناة العربية بشكل مباشر بأنها كانت وما زالت تمارس دوراً مشبوهاً، وتعمل وفق أجندة تتقاطع مع أجندة الاحتلال الإسرائيلي وإعلامه المعتمد على الكذب وتشويه الحقائق.

خاتمة

إن تقييم دور وأداء الإعلام الإسرائيلي أثناء معركة سيف القدس، بشقّيه التقليدي والجديد، مرتبط بالأسس التي نشأ عليها هذا الإعلام منذ تأسيس الكيان ،والذي ارتكز على التعبئة والتحشيد داخلياً، وممارسة لعبة الخداع والتضليل خارجياً، لتبرير العدوان وممارسة دور الضحية من خلال الصور والأخبار والمواقف والآراء، عبر تسخير آلة الدعاية والإعلام لخدمة الحرب وتجميل صورة الاحتلال. لكن هذا الإعلام لم يستطع إخفاء صورة الهزيمة التي مُني بها الجيش الإسرائيلي في معركة سيف القدس، والتي أضيفت إلى سجل الانتصارات عليه، بخلاصة واضحة، وهي أن هذا الجيش لم يستطع ترميم صورته ومحو الهزيمة التي لحقت به في العام 2006 على يد المقاومة في لبنان.

لا بل إن معركة سيف القدس أضافت معادلة جديدة في الصراع مع الاحتلال، بعدما أصبح الدفاع عن القدس من مسؤولية المقاومة وقدراتها الصاروخية، وبات قطاع غزة أكثر التصاقاً بالضفة والقدس والمناطق المحتلة عام1948؛ فقد وحّدت المقاومة الكلّ الفلسطيني بشكلٍ فاجأ الجميع؛ وفشل الإعلام الإسرائيلي بالتغطية على الخسائر التي أصابت الكيان في هذه المعركة، التي أثبتت فيها المقاومة أن صواريخها قادرة على الوصول إلى أي مكان في فلسطين المحتلة؛ كما أن عدداً من وسائل الإعلام الغربية والعربية سقطت خلال معركة سيف القدس وفشلت في تطبيق أدنى المعايير المهنية والإنسانية، وذلك نظراً لتبعية وسائل الإعلام المذكورة وانسياقها وراء الرواية

والدعاية الإسرائيلية. ومن منطلق هذه التبعية، قامت تلك الوسائل بتكرار نشر الاعتراف بالفشل الذي أقرّت به بعض وسائل الإعلام الإسرائيلية، والتي كشفت أنه كانت لمعركة سيف القدس تداعيات سلبية على الكيان لن تنتهي أبداً، وأن المستوى السياسي الإسرائيلي اتخذ قرارات خاطئة أدّت لحدوث انفجار كبير، بعد وضع الحواجز الأمنية في باب العامود، وتضييق الخناق على ترحيل سكان الشيخ جراح، ومحاولة منع الفلسطينيين من إحياء يوم القدس العالمي دون توقع حدوث ردٍ من المقاومة والشعب الفلسطيني في غزة والضفة ومناطق الـ 48، حيث وقع الإعلام الإسرائيلي مجدداً في محاولة إنتاج صورة مغايرة لصورة الهزيمة التي أصابت الجيش الإسرائيلي في حرب عام 2006 وترميم صورة هذا الجيش، بعد أن تكرست مجدداً في معركة سيف القدس، والتي لم يستطع فيها الجيش الإسرائيلي تحقيق أي أهداف، و لم يتمكن من الوصول إلى أحد سوى النساء والأطفال والمدنيين الأبرياء، مع تدمير مبانٍ تستخدمها وسائل الإعلام. وقد انتهت المعركة بمعادلة جديدة ،وهي وحدة الفلسطينيين ومقاومتهم بمواجهة الاعتداءات الصهيونية على القدس والمسجد الأقصى.

وفي خلاصة لهذا البحث، يتبيّن أن الإعلام الإسرائيلي، من خلال تغطيته الموجّهة لمعركة سيف القدس، كان متجنّداً وليس مجنّداً في خدمة الجيش الإسرائيلي، وخاصة خلال مرحلة الحرب على قطاع غزة.

مراجع البحث:

- تقرير المركز العربي للحريّات الإعلامية للعام 2020.
- بيان منظمة (مراسلون بلا حدود)، 17/5/2021.
- دراسة صادرة عن مركز (سيكوي) الإسرائيلي عام 2021.
- تحسين الأسطول، نائب نقيب الصحفيين الفلسطينيين (مقابلة).
- صحيفة (دير شبيغل) الألمانية، 12/5/2021.
- بيانات وتصريحات لكتائب الشهيد عزّ الدين القسام و سرايا القدس.
- د. عدنان أبو عامر، دراسة– هكذا تعامل الإعلام الإسرائيلي مع العدوان على غزة، 14/5/2021.

معركة «سيف القدس»:
المواجهة والمُراكمة.. سرايا القدس نموذجًا

هيثم أبو الغزلان *

مدخل

لم يرضخ الشعب الفلسطيني للغزوة الصهيونية يوماً؛ فهو واجه وقاوم تلك الغزوة منذ بداياتها، أي منذ العام 1882. وقد مرّت تلك المقاومة بأشكال مختلفة، لكن الثابت كان ولا يزال هو استمراريتها رغم تغيّر الظروف. وفي جولة الصراع هذه «سيف القدس» ضد العدو الصهيوني، حوّلت حركات المقاومة في فلسطين، وبالتحديد حركتا الجهاد الإسلامي وحماس، السياسة من كونها فنّ تحقيق الممكن، إلى فنّ تحقيق ما يبدو مستحيلًا.

وفي الوقت الذي ظنّ فيه كثيرون ـ وبعضهم يعتقد ذلك ـ أن موجة التطبيع العاتية، والاستيطان الزاحف والذي يأكل الأخضر واليابس، والتهويد المتصاعد،وتمكّن الكيان الصهيوني من الحصول على بيئة عربية مناسبة له من خلال التطبيع، ومواجهة المقاومة، والتمدّد في إفريقيا، والتدخل في العديد من ملفات المنطقة، وعقد الصفقات.. قد قرّب حسم الصراع لصالح الكيان.. تفاجأ الجميع، كما تفاجؤوا في العام 2000 عندما تفجّرت انتفاضة الأقصى، بتفجّر الهبّة الجماهيرية في باب العامود في القدس، بعد محاولات عديدة للمستعمرين الصهاينة، بدعم من الأجهزة الأمنية والسياسية الصهيونية، للسيطرة الكاملة على القدس؛ لكن المقاومة الفلسطينية، وغرفتها المشتركة، وعلى رأسها سرايا القدس، وكتائب القسّام، وجّهت في العاشر من أيار/مايو من العام الحالي تحذيرًا للعدو الصهيوني، والذي لم يلتزم به؛ فبدأت المقاومة بمعركتها «سيف القدس»، التي اعتبرها الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي، زياد النخالة، بأنها «تشكّل مخرجًا وطنيًّا للشعب الفلسطيني، وللمشروع الوطني الذي راوح في مربّع التسويات العدمية لأكثر من ربع قرن»، وأن «فلسطين تعود اليوم إلى قلب الاهتمامات العربية والإسلامية شعبيًّا ورسميًّا، وإلى قلب الاهتمام الدولي»؛ ودعا إلى «التحرك للاستفادة من هذه المتغيرات ومنع محاولة إجهاض ما تمّ إنجازه بكل قوّة».. فما هو الدور الذي قامت به سرايا القدس، الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي

* كاتب فلسطيني – أمين سر العلاقات في حركة الجهاد الإسلامي/ لبنان.

في فلسطين أثناء المعركة؟ وما هي الإنجازات التي تحقّقت؟ وما هي حدود المواجهة والردع التي أرستها المقاومة؟

دورسرايا القدس في معركة سيف القدس

خاضت المقاومة الفلسطينية، وعلى رأسها سرايا القدس وكتائب القسام، معركة غير متماثلة مع جيش العدو الصهيوني؛ إذ إن الحروب النظامية، بشكليها الكلاسيكي والحديث، قد تلاشت. تقول «روجينا خليل الشختورة» في مجلة (الجيش العدد 348 – حزيران 2014)، إن الحروب النظاميّة بشكليها الكلاسيكي والحديث قد تلاشت، و لم نعد نشاهد في العقدين الأخيرين مثل هذا النوع من الحروب لا بين الدول الصغرى، ولا بين الدول الكبرى. فالأخيرة تحشد موارد ضخمة وتقنيّات متقدّمة في الحروب المحدودة، بينما تقاتل الدول الأصغر بموارد محدودة، لكنّها تتسلّح بإرادة قويّة. ويصف أحمد قاسم حسين، الباحث في (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ـ 24/6/2021)، المواجهات العسكرية بين قوى المقاومة الفلسطينية وجيش الاحتلال الإسرائيلي (2008/ 2009، 2012، 2014، 2021)، التي كانت ساحتها الأساسية قطاع غزة المحاصر منذ خمسة عشر عامًا، بأنّها حروب غير متناظرة، نظرًا إلى التفاوت في القوة العسكرية بين الطرفين من ناحية، وبسبب التكتيكات والاستراتيجيات التي تتّبعها قوى المقاومة الفلسطينية في مواجهة القوة الهائلة لجيش الاحتلال الإسرائيلي من ناحية أخرى. ورغم التفوق العسكري في هذه الحروب غير المتكافئة، لم تستطع «إسرائيل» ـ كما يذكر الكاتب ـ تحقيق نصر أو حسم المواجهات لصالحها، وفشلت في تحقيق الأهداف التي تضعها عند كل مواجهة، مثل ضرب البنية التحتية للمقاومة، وإضعاف قدراتها، وردعها عن إطلاق الصواريخ تجاه العمق الإسرائيلي؛ بل على العكس، ازدادت قوة المقاومة الفلسطينية نسبيًا في قطاع غزة على مستوى الكفاءة القتالية (التدريب، والتعليم، والتطوير)، والكفاءة الفنيّة (التحضير، والتجهيز، وإدارة المعركة)، خاصةً في معركة «سيف القدس».

إن المتتبّع لمسيرة حركة الجهاد يدرك جيدًا أن خوضها مع بقية فصائل المقاومة الصراع ضد الاحتلال ناتج عن فهم واضح لطبيعة الصراع ضد العدو الصهيوني وتحالفاته؛ وبالتالي فإن استمرار الصراع ضدّه هو الأنسب والأقدر على تحقيق نتائج مهمة للشعب الفلسطيني تُقرّب من إمكانيّة النصر والتحرير. ولذلك عندما توقّف صوت الصواريخ والمدافع، اعتبرت سرايا القدس في بيان صادر عنها في (21–5–2021)، أن «توقّف صوت الصواريخ والمدافع والبارود.. لن يوقف مسيرتنا الطويلة، وسيستمر درب جهادنا الشاق، حيث كانت القدس في معركة سيف القدس واحدةً من محطاتها الممتدة، والتي خضناها بكل جرأة وقدرة، تعبيراً حقيقياً عن انتمائنا في سرايا القدس وفصائل المقاومة للقدس والمقدسيين».. وأنّها ومعها المقاومة «ما زالوا في حالة استنفار»،

وأنّهم سيبقون حاضرين وفق قاعدة «وإن عدتم عدنا». وأشارت سرايا القدس أن معركة سيف القدس هي «محطة فاصلة تُضاف إلى سجل المقاومة الخالد؛ بمداد من شهداء ودماء وعطاء كبير منقطع النظير، استطاع شعبنا المجاهد عبرها أن يضع كيان العدو في مأزقٍ وجوديٍ وتاريخي لم يسبق له مثيل». وأكّدت السرايا على «هزيمة نتنياهو وقيادة جيشه المهزوم، ـ الذين ـ ألحقنا بهم جميعًا، إلى جانب جبهتهم الداخلية الهشّة، خسارةً نكراء وإذلالاً يومياً. وودّعنا خلال هذه المعركة شهداء أفذاذ ساروا على طريق القدس من سرايا القدس وكتائب القسام، وهم: الشهيد القائد حسام أبو هربيد، والشهيد القائد سامح المملوك، والشهيد القائد باسم عيسى، وإخوانهم الشهداء الذين رسموا لنا جميعاً ملامح نصر القدس وطريق المواصلة والفلاح من دمهم الراعف حباً وانتماءً لفلسطين». وذكرت السرايا أن المعركة قد «أفشلت كل محاولات العدو لفصل القدس والضفة والداخل المحتل عن ميدان فعلنا المقاوم»، مشيرة إلى «تحويل مدن ومواقع ومغتصبات العدو فيما يُعرف بغلاف غزة مكاناً غير قابل للحياة»، بفعل «دك على مدار أيام المعركة «تل أبيب» ومدن المركز بمئات الصواريخ»، و»أثبتنا قولاً وفعلاً أن الكيان الصهيوني قابل للهزيمة، وأن الرهان عليه خاسر».

وبعد انتهاء المعركة، أصدرت سرايا القدس بيانًا بتاريخ (23–5)، عدّدت فيه إنجازاتها خلال معركة سيف القدس، التي قصفت خلالها المدن والبلدات المحتلة، أبرزها الخضيرة والقدس وتل أبيب وضواحيها وديمونا وهرتسيليا وأسدود وبئر السبع وعسقلان ونتيفوت وغان يفنا وسديروت وكافة المواقع العسكرية ومغتصبات غلاف غزة بمئات الرشقات الصاروخية وقذائف الهاون، من بينها صواريخ (براق 120)، و(براق 70)، و(بدر 3)، و(غراد)، و(قدس)، و(صاروخ القاسم)، وقذائف الهاون، و(صواريخ 107) والكورنيت.

القلق الصهيوني من إنجازات المقاومة

على وقع الإنجازات الفلسطينية، عسكريًا وسياسيًا وإعلاميًا، لم تنجح الدعاية الصهيونية، رغم حديثها المتواصل عن إنجازات، في تسويق انتصارها المزعوم، الذي خطفت المقاومة الفلسطينية صورته منذ اللحظة الأولى التي أطلقت فيها صاروخ (الكورنيت) مستهدفة آلية تقلّ عددًا من الضّباط الأمنيين، مع إطلاق الصواريخ على القدس المحتلة. إن تصريحات القادة الصهاينة و»فلتات ألسنتهم» عبّرت بشكل واضح عن الواقع المغاير الذي حاولوا تسويقه و لم يُفلحوا. فقد اعتبر رئيس الدائرة السياسية والأمنية بوزارة الجيش الصهيوني عاموس غلعاد، في تصريح له، أنه «ربما أحرزنا بعض الإنجازات العسكرية خلال حرب غزة، لكن (المقاومة) نجحت بإعادة قضايا الفلسطينيين والقدس للواجهة، مما سيعيق جهود التطبيع المستقبلية، ويزعزع استقرار أمننا بالضفة الغربية، ويدهور العلاقات اليهودية العربية». أما مسؤول الاستشارات

الإعلامية الاستراتيجية ياردين فاتيكاي، فأشار إلى أن «حرب غزة شهدت انطباعًا دعائيًا بين العرب واليهود بأن (المقاومة) حقّقت إنجازات كبيرة، بتقديم نفسها مدافعة عن القدس، وإطلاق الصواريخ على القدس وتل أبيب، والاستمرار بإطلاقها حتى آخر يوم من الحرب». وأضاف أن «أداء الجيش حقّق إنجازات عسكرية مهمة، لكنه لم يحصل على صورة رمزية بارزة، مثل اغتيال قادة (المقاومة)، أو إعادة الأسرى والمفقودين الإسرائيليين، ممّا يُصعّب تسويق الإنجازات للجمهور الإسرائيلي».

ويوافق فاتيكاي أنّ ضررًا دعائيًا كبيرًا لحق بإسرائيل، تمثّل بالحديث عن تدمير «مترو حماس»، وهي الأنفاق.. وقال إن ما جعل تفسيرهم للتصريحات الإسرائيلية بشأن هدم «المترو» الفلسطيني في غزة، سلبيًا، ما أضرّ بالدعاية الإسرائيلية حول العالم.

ولفتت صحيفة «هآرتس» إلى وجود قلق إسرائيلي كبير من تزايد التأييد الشعبي للمقاومة في الضفة الغربية، بعد ما رآه الفلسطينيون كنجاح كبير لها خلال جولة القتال الأخيرة. وأشارت إلى أن الضفة بحاجة إلى انتباه إسرائيلي أكثر من الموجود حالياً؛ فالسلطة الفلسطينية لا تسيطر تماماً على الأوضاع كما كانت تفعل في السابق.

وكشف يتسحاك بريك، الجنرال الإسرائيلي، ومفوّض شكاوى الجنود، وقائد الكليّات العسكرية، أن «إسرائيل تعاني من تهديد وجودي يتمثّل بمئات آلاف الصواريخ، كثير منها دقيق للغاية، ولها رؤوس حربية بمئات الكيلوغرامات، ومدى يصل مئات الكيلومترات التي تحيط بها من جميع الجهات، وتهدّد بإلحاق الضرر بجبهتها الداخلية في الحرب القادمة، وستكون ساحتها الرئيسية».

وإزاء التحركات الانتفاضية التي حدثت خلال معركة سيف القدس في الأراضي المحتلة منذ العام 1948، رأى بريك أن «جنود الخدمة النظامية عديمو الخبرة، وقدرتهم المهنية ضحلة، بدليل أن الجيش خلال حربي لبنان الأولى والثانية، وحروب غزة الأخيرة، لم يحقّق إنجازات عسكرية وسياسية، ولم يردع (المقاومة)». فيما اعتبر رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية، اللواء أهارون حليفا، أن للتعامل مع الخطر المماثل لما حدث من «الداخل الفلسطيني» خلال عملية «حارس الأسوار»، نحتاج إلى بناء قوة احتياط، شيء على غرار حرس الحدود.

الكيان أمام خطر التهديد الوجودي

إن التحدّيات التي تُواجه الكيان الصهيوني تتزايد وتتعمّق، إذ لم يعد قلب الكيان آمنًا؛ وأي معركة ضد المقاومة ستُخاض لاحقاً، فإنّ الجبهة الداخلية الصهيونية ستتأثّر أيضًا وتتضرّر بشكل كبير. لقد كان لتطوّر أداء المقاومة، وحُسن إدارتها للمعركة وما بعدها، ووضوح

رؤيتها، وتحديدها لأهدافها، وحاضنتها الشعبية القوية والمتينة والمتزايدة، الأثر الكبير في تحقيق الانتصار، والعمل الدؤوب من أجل المزيد من الانتصارات اللاحقة. لقد أصبحت البالونات الحارقة المنطلقة من تخوم قطاع غزة تشكّل إحدى أدوات الردع للعدو. يقول الصحفي تسفيكا يحزكيلي، المستوطن الذي يقيم في مستوطنات غوش عتصيون في الضفة الغربية، وعمل سابقًا في الاستخبارات: «نحن في وضع تتساءل فيه المؤسسة الأمنيّة: هل نشنّ تصعيدًا من أجل بالونات! ونعيد الجميع إلى الملاجئ؟ بذلك يتضح أن هذه البالونات تردعنا من حيث لا ندري».

ويمكن الإشارة في السياق ذاته، إلى النجاح الفلسطيني الأخير في إجبار المستوطنين الصهاينة على إخلاء مستوطنة «أفيتار» المقامة على جبل «صبيح» ببلدة بيتا جنوب نابلس بالضفة الغربية، ما يؤكد أن الاحتلال لا يفهم إلا بلغة القوة والمزيد منها. ولذلك قال عضو الكنيست من حزب «ميرتس» يائير غولان في تصريحات إذاعية: إن خطة إخلاء «أفيتار» كانت سيّئة جدًا وتُشكّل خطرًا على مستقبل إسرائيل.

لقد باتت المشاهد البطولية الفلسطينية التي تتزايد على امتداد الأرض الفلسطينية، بمثابة نماذج ملهمة للأجيال الصاعدة في طريق التحرير والنصر والعودة؛ وأصبحت سرايا القدس– وكل الأجنحة العسكرية المقاومة– نموذجًا يُحتذى به، مقاومة ونصرًا وفداء؛ فهل ترتقي الجهود من أجل التوصّل لمشروع وطني فلسطيني مقاوم وجامع يقود النضال والجهاد النهائي ضد الاحتلال الصهيوني قريبًا ..؟!

معركة «سيف القدس»: المواقف والتداعيات

براءة درزي *

مقدّمة

لم تكن معركة سيف القدس مشابهة للمعارك أو الحروب السابقة بين المقاومة الفلسطينية وكيان الاحتلال ، كونها شكّلت اختبارًا شاملاً للمقاومة من زوايا متعدّدة، وعلى صعد مختلفة. فقد تميّزت هذه المعركة بجملة من الأمور، أوّلها أنّ المقاومة كانت صاحبة المبادرة فيها وهي التي اختارت توقيتها، وأنّ سبب اندلاعها لم يكن مرتبطًا بتطوّر الأوضاع في غزة، مثلما كانت الحال في الاعتداءات الإسرائيلية السابقة على القطاع، بل بالقدس والأقصى، وأنّها شهدت ربطًا بين المكوّنات الجغرافية لأماكن انتشار الفلسطينيين، لا سيّما موجة التظاهرات التي قام بها الفلسطينيون في مدن الداخل المحتل عام 1948، والإضراب العام الذي شارك فيه كلّ الفلسطينيين في 18/5/2021 [1] ، بما عزّز القلق لدى الاحتلال والخوف من فقدان السيطرة الأمنية في الداخل خصوصًا[2]. كذلك، فقد كشفت هذه الجولة عجز الاحتلال عن الحسم العسكري في وجه فصائل المقاومة في غزة، التي تمتلك قدرات متواضعة، في ظلّ سنوات الحصار الطويلة، والحروب التي كان قادة الاحتلال يقولون عند انتهائها إنّهم أعادوا المقاومة سنوات إلى الوراء وعطّلوا قدراتها الصاروخية.

من حيث التوقيت، جاءت معركة سيف القدس في مرحلة أعقبت التقارب الرسمي العلني بين عدد من الدول العربية ودولة الاحتلال، والذي توّجته اتفاقيات أبراهام التطبيعيّة التي رعتها إدارة الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب، وانضمّت إليها أربع دول عربية هي: الإمارات العربية المتحدة، والبحرين، والسودان، والمغرب، بعد أعوام من تطبيع كلّ من مصر والأردن، في ظلّ كلام عن دول أخرى تتحضّر لتلحق بقطار التطبيع[3].

---

* باحثة في الشأن الفلسطيني.

1- الأخبار، 18/5/2021. https://al-akhbar.com/Palestine/306173

2- عدنان أبو عامر: قراءة إسرائيلية في معركة سيف القدس والعدوان على غزة: الأسباب والنتائج والسيناريوهات، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 10/6/2021. https://bit.ly/3gIAHjs

3- وكالة أنباء تركيا، 17/3/2021. https://tr.agency/news-126141

كذلك، اندلعت هذه المعركة خلال الأشهر الستة الأولى من تسلّم الرئيس الأمريكي جو بايدن رئاسة الولايات المتحدة، وانشغال إدارته بالملف النووي الإيراني كأولوية في السياسة الخارجية، بدت أكثر أهمية بالنسبة إلى بايدن من القضية الفلسطينية.

لذلك، كانت معركة سيف القدس اختبارًا ليس للمقاومة وقدراتها وجهوزيّتها وحسب، بل اختبارًا لمواقف الدول العربية حيال المقاومة والعدوان على غزة أيضًا، لا سيّما مواقف الدول المطبعة، وأثر تطبيع العلاقات في استمرار العدوان أو وقفه؛ بل وأثر العدوان في مستقبل التطبيع؛ إضافة إلى موقف الإدارة الأمريكية التي وجدت نفسها في ميدان إثبات التزامها بأمن دولة الاحتلال والتحالف معها.

أولاً: المواقف العربية والإسلامية الرسمية

لم يُقدّم المستوى العربي والإسلامي الرسمي عمومًا موقفًا جديدًا حيال العدوان الصهيوني على غزّة وتصدّي المقاومة له، بل هو التزم إطلاق سلسلة من المواقف الروتينية، عبر إصدار بيانات استنكار، والمطالبة بوقف العدوان فحسب. بل وذهبت بعض الدول العربية إلى المساواة بين العدوان والمقاومة، عبر دعوة كل الأطراف إلى «ضبط النفس» والتعزية بـ «ضحايا الجانبين»؛ وكان لمصر الدور الأبرز على مستوى الجهود الدبلوماسية، لأسباب متعدّدة، من بينها قدرتها على التواصل مع المقاومة في غزة من جهة، ومع دولة الاحتلال من جهة أخرى.

السلطة الفلسطينية

لم تكن السلطة الفلسطينية في أحسن حال قبل معركة سيف القدس؛ فهي تعيش مأزقًا متنامياً نتيجة ضعف الرئيس محمود عباس والانقسامات التي تشهدها حركة فتح، وهي تدرك تراجع شعبيّتها كما كشف قرار «تأجيل» الانتخابات، بعدما كانت صدرت مراسيم حدّدت مواعيدها. ثمّ جاءت معركة القدس لتعمّق أزمة السلطة، حيث بدت حركة حماس في موقع الدفاع عن القدس والأقصى فعليًا، ما عزّز من مكانتها مقارنة بالسلطة[4].

التزمت السلطة مراقبة تطورات العدوان على غزة وردّ المقاومة عليه، من دون الدفع باتجاه خلق حالة نضاليّة فاعلة في الضفة، في ظلّ حرص ملحوظ على عدم تمدّد المواجهات إلى الضفة نظرًا إلى خطورة ذلك على وجودها واستمرارها، ولما يشكّله من تهديد لمسار المفاوضات والتسوية الذي تدعمه وتتبنّاه.

4- المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق: الاتجاهات الاستراتيجية غرب آسيا وشمال إفريقيا 2021، أيار/مايو 2021. https://bit.ly/2SVXgJz

وقد دانت الرئاسة الفلسطينيّة العدوان على غزة، وما أدّى إليه من شهداء وإصابات، وحمّلت حكومة الاحتلال المسؤولية الكاملة عن التصعيد والجرائم في غزة والقدس، مؤكّدة ضرورة تدخّل المجتمع الدولي، وفي مقدّمته مجلس الأمن الدولي واللجنة الرباعية الدولية، لتوفير الحماية للشعب الفلسطيني، والضغط على حكومة الاحتلال لوقف عدوانها بشكل فوري، والبدء بالعمل الجاد لإنهاء الاحتلال وتنفيذ قرارات الشرعية الدولية[5].

وطالب محمد اشتية، رئيس الوزراء الفلسطيني، مجلس الأمن الدولي بالتدخل الفوري لوقف العدوان على غزة والعدوان المستمر على الأقصى، ولوقف عمليات التطهير العرقي التي تستهدف المقدسيين، لا سيما في حيّ الشيخ جرّاح، ووجّه الوزراء بتوفير جميع الإمكانات الصحّية والمستلزمات الطبية لمستشفيات القطاع[6].

السلطة التي سمحت بالتظاهرات الرافضة للعدوان والداعمة للمقاومة، أقلّه من باب التجاوب مع نبض الشارع الفلسطيني، سرعان ما عادت لتتقلّد دورها المعهود لجهة الاعتقالات التي أطلقها على أثر توقّف العدوان الإسرائيلي على القطاع. وقد جاءت حملة الاعتقالات مركّزة، حيث طالت نخبة من الناشطين والمؤثّرين من مختلف الفصائل الفلسطينية، فيما تمحورت أسباب الاعتقال والتحقيق حول منشورات تنتقد السلطة، أو المشاركة في مسيرات مؤيّدة للمقاومة في معركة سيف القدس[7].

مواقف دول التطبيع

جاءت معركة سيف القدس في مرحلة ما بعد انخراط أربع دول عربية في التطبيع الرسمي والعلني مع دولة الاحتلال، ضمن الرؤية التي فرضها الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب للدفع باتجاه فرض خطته للسلام المعروفة بصفقة القرن. وكانت المعركة، وبطبيعة الحال اعتداءات الاحتلال المتصاعدة على القدس والأقصى التي كانت ضمن الأسباب المباشرة للمواجهة، أوّل اختبار عملي لاتفاقيات التطبيع والمواقف التي يمكن للدول المطبّعة أن تتبنّاها كالتزام حيال دولة الاحتلال، وقدرتها على مخالفة النبض الشعبي والخروج عن السياق العام للموقف العربي والإسلامي.

كان الهدف من التطبيع، من بين أمور أخرى، إدخال دولة الاحتلال في دائرة أمان عربية، مع فرض مزيد من التنازلات على السلطة الفلسطينية تحت مظلّة عربية، وإعادة تشكيل وعي المنطقة

5- روسيا اليوم، 15/5/2021. https://ar.rt.com/qehh

6- الحياة الجديدة، 11/5/2021. https://bit.ly/2ShSDcz

7- الأخبار، 2/6/2021. https://bit.ly/3qjLrcl

وثقافتها بما يسمح بدمج دولة الاحتلال فيها وقبولها، من دون أيّ تغيير في سلوكها وسياساتها تجاه الفلسطينيين[8].

و لمْ تقدم أيّ من الدول المطبّعة على خطوة عمليّة حيال العدوان الإسرائيلي على قطاع غزّة، مرتبطة باتفاقيات التطبيع ، من قبيل إلغائها أو حتى التلويح بذلك. لكن الإحراج الذي فرضه العدوان الإسرائيلي على حلفاء دولة الاحتلال اضطرّ الدول المطبّعة لاتخاذ مواقف خالفت فيها توقّعات الاحتلال، وإن تبنّت سقفًا منخفضًا ساوت تحته بين المعتدي والمعتدى عليه، لا سيّما دولة الإمارات.

ففي 11/5/2021، كتب أنور قرقاش، المستشار الدبلوماسي لرئيس دولة الإمارات، على موقع تويتر، أنّ بلاده «تقف مع الحقّ الفلسطيني ومع إنهاء الاحتلال الإسرائيلي»، مشيرًا إلى أنّ الإمارات تقف «مع حلّ الدولتين ومع دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس الشرقية»، وأنّ «هذا موقف تاريخي مبدئي لا يتزحزح»[9].

ثمّ عادت الخارجية الإماراتية، في 14/5/2021، لتعبّر عن قلق الإمارات البالغ حيال «تصاعد أعمال العنف في إسرائيل وفلسطين»، وطالبت «جميع الأطراف بضبط النفس»؛ وتقدّم وزير الخارجية الإماراتي عبد الله بن زايد آل نهيان، نيابة عن بلاده، بخالص التعازي «في جميع الضحايا الذين سقطوا جرّاء أعمال القتال الأخيرة»[10].

وعلى أرض الواقع، كانت مظاهر تعميق التطبيع بين الإمارات ودولة الاحتلال مستمرّة في أثناء العدوان الإسرائيلي على غزة. فقد استقبلت الإمارات مجموعة من المراهقين والأطفال الإسرائيليين في رحلة ترفيهية، زاروا فيها المرافق السياحية في دبي والصحراء الإماراتية، ونظّمتها منظمة «رحشي ليف» الإسرائيلية بالتعاون مع السلطات الإماراتية[11]. كذلك، استقبلت الإمارات وفدًا إسرائيليًا يروّج لدولة الاحتلال كوجهة سياحيّة «لا بدّ للمسلمين من زيارتها»[12]. ومن الممكن القول إنّ هذا المسار الذي استمرّ في أثناء الحرب لن يتوقّف بعدها؛ فقد اجتمع إسرائيليون وإماراتيون، في دبي، في 2/6/2021، على سبيل المثال، لمناقشة فرص الاستثمار بين الجانبين، بهدف تحقيق استفادة قصوى من «عمق العلاقات بين البلدين»[13].

8- المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات: قراءة في التطبيع/ التحالف الإماراتي والبحريني مع "إسرائيل"، 17/9/2020. https://bit.ly/35GG9OK

9- حساب أنور قرقاش على تويتر، 11/5/2021. https://bit.ly/3wO1kuc

10- وكالة أنباء الإمارات، 14/5/2021. https://bit.ly/3vOgNsW

11- العربي الجديد، 27/5/2021. https://bit.ly/3xtr1Qr

12- TRT عربي، 17/5/2021. https://bit.ly/3gzKmd7

13- العربي الجديد، 2/6/2021. https://bit.ly/3j4CmCT

وأكّد وزير خارجية البحرين، في اتصال بنظيره الفلسطيني في 14/5/2021، إدانة بلاده الشديدة للهجمات التي تشنّها القوات الإسرائيلية على قطاع غزة،ُمعبّرًا عن تعازي المملكة في الشهداء الذين سقطوا جرّاء الاعتداءات الإسرائيلية

وأعرب عن تضامن البحرين مع الشعب الفلسطيني، مؤكدًا موقفها الداعم بقوّة للقضيّة الفلسطينية، إيمانًا منها بحق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية ،على أساس مبدأ حلّ الدولتين ومبادرة السلام العربية ووفق قرارات الشرعية الدولية ذات الصلة[14].

لكنّ موقف البحرين بدا أوضح في محاولة المساواة بين المعتدي والمقاومة، وذلك في الاجتماع الطارئ للجنة التنفيذية لمنظمة التعاون الإسلامي الذي أقيم عبر تقنية الاتصال الإلكتروني المرئي في 16/5/2021، عندما دعا وزير الخارجية «الأطراف إلى وقف التصعيد في قطاع غزة وباقي الأراضي الفلسطينية»[15].

في السودان، حيث لا يحظى التطبيع مع الاحتلال بالإجماع السياسي ويواجه رفضًا شعبيًا، أعربت الخارجية عن القلق من استمرار الاعتداءات الإسرائيلية ووقوف السودان حكومةً وشعبًا مع الشعب الفلسطيني أمام هذه الاعتداءات[16]؛ وبينما دافع عبد الفتّاح البرهان، رئيس مجلس السيادة الانتقالي، عن تطبيع العلاقات مع الاحتلال، وقال إنّه «تصالح مع المجتمع الدولي، وإسرائيل جزء من المجتمع الدولي»، فقد طالب الحزب الشيوعي السوداني وأحزاب مشاركة في الائتلاف الحاكم بإيقاف التطبيع[17].

وفي الوقت الذي عبّر المغرب فيه عن قلقه «حيال الأحداث العنيفة المتواترة في القدس الشريف وفي المسجد الأقصى»، في بيان صادر عن الحكومة في 9/5/2021 [18]، فإنه لم يشعر بالحاجة إلى الدعوة لاجتماع للجنة القدس التي يرأسها، على الرغم من أنّ التطورات في القدس هي السبب المباشر في اندلاع المواجهات الأخيرة.

وطالبت الكتلة النيابية لحزب «العدالة والتنمية» في البرلمان المغربي بإغلاق مكتب الاتصال الإسرائيلي بالرباط، فيما وصفت كتلة حزب «الأصالة والمعاصرة»، أكبر أحزاب المعارضة في المغرب،

14- وكالة أنباء البحرين، 14/5/2021. https://bit.ly/35N7XRo
15- وكالة أنباء البحرين، 16/5/2021. https://bit.ly/3d1TtkG
16- وكالة الأناضول، 15/5/2021. http://v.aa.com.tr/2241839
17- وكالة الأناضول، 17/5/2021. http://v.aa.com.tr/2249714
18- رويترز، 9/5/2021. https://reut.rs/35IJwEC

العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني بـ «جريمة حرب وتكريس للتمييز العنصري»[19].

وفي خطوة أثارت غضب الاحتلال، صوّتت البحرين، والسودان كذلك، لمصلحة قرار مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة في 27/5/2021، بتشكيل لجنة تحقيق في انتهاكات جيش الاحتلال في قطاع غزة. وقد أوضحت خارجيتها للمنامة والخرطوم أنّه كان من المتوقع أن تصوّتا بخلاف ذلك، وأنّ «إسرائيل» غير راضية عن طريقة تصويتهما التي «لا تسهم في تعزيز السلام في المنطقة»[20].

ومع ذلك، فقد اعتمدت السلطات المغربية التضييق على الوقفات الداعمة لفلسطين والرافضة لاتفاقية التطبيع مع الاحتلال، فضيّقت على الوقفة التضامنية التي دعت إليها الجبهة المغربية لدعم فلسطين وضد التطبيع أمام مبنى البرلمان في الرباط[21].

وأشار تقرير نشرته صحيفة فايننشال تايمز إلى أنّه في حين تقيم ثلث الدول العربية علاقات مع دولة الاحتلال، فقد ظهر أنّ العلاقات الدبلوماسية التي نشأت على أثر توقيع اتفاق أبراهام لم تعطِ هذه الدول ورقة نفوذ للضغط على «إسرائيل»، ولم تُجدِ نفعًا في حلّ أساس الأزمة الممتدّة، المتمثّل في الصراع بين الاحتلال والفلسطينيين[22].

وإذا كانت هذه مواقف الدول حديثة العهد بالتطبيع، فإنّ الموقف الأردني لم يخرج عن سياقاته المعهود. فقال وزير الخارجية الأردني أيمن الصفدي إن «القدس خط أحمر وإسرائيل تلعب بالنار»، وإنّ استمرارها في عدوانيتها وعنجهيتها سينعكس على كل شيء، بما في ذلك على العلاقات الأردنية – الإسرائيلية[23]. ووقّع 95 نائبًا مذكّرة طالبت الحكومة الأردنية بقطع العلاقات مع دولة الاحتلال وطرد سفيرها[24]؛ فيما هاجم نوّاب السياسات الحكومية في تمويل خزانة الاحتلال عبر اتفاقية الغاز، ودعوا إلى إعادة العلاقات السياسية مع حركة حماس، وضرورة دعمها بالمال والرجال والسلاح[25].

الموقف المصري

كان الموقف المصري في هذه الجولة من العدوان على غزة مختلفًا عن الموقف الذي تبنّته القاهرة

19– الميادين، 18/5/2021. https://mdn.tv/6DQ9
20– الجزيرة، 1/6/2021. https://aja.me/n35cvv
21– وكالة الأناضول، 11/5/2021. http://v.aa.com.tr/2237834
22– فايننشال تايمز، 16/5/2021. https://on.ft.com/3j4qm4i
23– الدستور، 11/5/2021. https://bit.ly/3zNwWlk
24– الدستور، 11/5/2021. https://bit.ly/3gKHdr0
25– عربي 21، 17/5/2021. https://arb.im/1358916

إبّان عدوان عام 2014 حين كان أقرب إلى الموقف الإسرائيلي منه إلى ذاك الفلسطيني. فقد أعلنت مصر رفض الممارسات الإسرائيلية التي تستهدف القدس والأقصى، ودعت إلى وقف الممارسات التي تستهدف الهوية العربية لمدينة القدس ومقدّساتها، أو تسعى لتهجير أهلها، وتحرّكت على المستوى السياسي عبر اتصالات بالجانبين الفلسطيني والإسرائيلي وعلى المستوى الدولي لوقف العدوان على غزة؛ وسمحت في خطبة الجمعة الرسمية بالحديث عن الانتهاكات الاسرائيلية والمطالبة بتوحيد الصف العربي لمواجهتها[26]، إضافة إلى الجهود الطبية والإغاثية، وتغيّر الخطاب الإعلامي لدى مقاربة المشهد في غزة وتطوراته[27].

وفي الاجتماع الوزاري الطارئ لجامعة الدول العربية في 11/5/2021، تحدّث سامح شكري، وزير الخارجية المصري، عن اعتداءات الاحتلال على الأقصى وعلى المصلّين العزّل، إضافة إلى الانتهاكات المتعلّقة بحيّ الشيخ جرّاح ،مبينًا أنّ «الأخوه الفلسطينيين يخوضون معركة وجود دفاعًا عن مقدّساتهم وبيوتهم في وجه هجمات إسرائيلية جديدة تستهدف حقوقهم في الأرض التي ولدوا عليها»، ومشيرًا إلى أنّ «مصر تعلن رفضها التام واستنكارها لتلك الممارسات الإسرائيلية الغاشمة، وتعدّها انتهاكًا للقانون الدولي، وتقويضًا لفرص التوصل إلى حلّ الدولتين، وتهديدًا جسيمًا لركائز الأمن والاستقرار في المنطقة»[28].

وأعلنت الرئاسة المصرية في 18/5/2021، أنّ مصر ستخصّص 500 مليون دولار لجهود إعادة الإعمار في غزة بعد العدوان الإسرائيلي على القطاع[29]، وهو الإعلان الذي أثار تساؤلات حول قدرة مصر على إغاثة غزة في ظلّ عجز الموازنة الذي تعانيه وديونها الخارجية، وعن طريقة الوفاء بهذا الالتزام[30].

ويمكن القول إنّ الموقف المصري كان مرتبطًا باعتبارات متعدّدة، منها محاولة استعادة دورها الإقليمي، لا سيّما بعد التغيّرات التي شهدتها المنطقة، إن لجهة المصالحة الخليجية وتحسّن العلاقات المصرية– القطريّة، أو التقارب التركي – المصري[31]، ومساعي مصر للعب دور في قطاع غزة الذي يشكّل جزءًا من أمنها الإقليمي، وقطع الطريق على محاولات تهميش الدور المصري[32]، خصوصًا بعد اتفاقيات التطبيع، وتثبيت دور قوي يمكنها الاستفادة منه في ملف سدّ النهضة،

26– صدى البلد، 14/5/2021. https://bit.ly/3zm37Is
27– الوطن، 15/5/2021. https://bit.ly/2TQ8uPU
28– الوطن، 11/5/2021. https://bit.ly/3xGZ87z
29– الجزيرة، 18/5/2021. https://aja.me/n2z58
30– الجزيرة، 23/5/2021. https://aja.me/nq4nh
31– دويتشه فيله، 7/5/2021. https://p.dw.com/p/3t83c
32– الجزيرة، 29/12/2020. https://aja.me/kjrwt

وكسب إعجاب الإدارة الأمريكية[33]، إضافة إلى التقارب مع القطاعات المؤيدة للقضية الفلسطينية على المستوى الداخلي.

دول عربية وإسلامية أخرى

لعلّ السعودية، التي كانت قد بدت على مشارف الإعلان عن تطبيع علاقاتها مع الاحتلال، تنفّست الصعداء كونها لم تُقدم على هذه الخطوة. وقال وزير خارجيتها الأمير فيصل بن فرحان بن عبد الله، في اجتماع مجلس جامعة الدول العربية على المستوى الوزاري في دورته غير العادية لبحث التحرك العربي والدولي لمواجهة الجرائم والاعتداءات الإسرائيلية، في 11/5/2021، إن بلاده تدعم جميع الجهود الرامية إلى الوصول لحلّ عادل وشامل للقضية الفلسطينية بما يُمكّن الشعب الفلسطيني من إقامة دولته الفلسطينية المستقلة على حدود عام 1967، وعاصمتها القدس الشرقية، وفق قرارات الشرعية الدولية ومبادرة السلام العربية. وطالب المجتمع الدولي باتخاذ الخطوات التي تكفل وقف الانتهاكات الإسرائيلية، وحماية الشعب الفلسطيني ومقدّساته وحقوقه[34].

وقامت تونس بتحرّكات على مستوى المشاركة في دعوة مجلس الأمن للانعقاد. وقالت رئاسة الجمهورية إنّها تبذل قصارى جهدها ليتخذ مجلس الأمن موقفًا ينهي الاعتداءات الإسرائيلية على الفلسطينيين[35].

وعقد البرلمان التركي، في 18/5/2021، جلسة خاصة لمناقشة الجرائم الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني، حيث أجمعت الأحزاب التركية كافة على وقوفها إلى جانب فلسطين وندّدت بجرائم الاحتلال. وأكد وزير الخارجية في كلمته أمام البرلمان أنّ تركيا لن تتخلّى عن فلسطين. وسبق ذلك إصدار الأحزاب التركية الخمسة الكبرى الممثّلة في البرلمان التركي بيانًا مشتركًا دانت فيه العدوان على الشعب الفلسطيني ومقدساته. ووقّعت على البيان الأحزاب الخمسة، في خطوة نادرة جدًا في الحياة السياسية التركية التي تفتقر غالبًا إلى الإجماع من قبل جميع هذه الأحزاب على قضية داخلية أو خارجية[36].

في إيران، شدّد المرشد السيد علي خامنئي على أهمية اتجاه الشعب الفلسطيني إلى استراتيجية التلاحم مشيرًا إلى أنّ الشاب الفلسطيني الذي كان يدافع عن نفسه يومًا بالحجارة بات اليوم «يردّ

33- Khalil al-Anani: Explaining Egypt's Role during the Gaza War, Arab Center Washington DC, 3/6/2021. https://bit.ly/2ROfv2Y

34- موقع العين الإخبارية، 12/5/2021. https://bit.ly/35Lmf5a

35- القدس العربي، 14/5/2021. https://bit.ly/35bP0aZ

36- القدس العربي، 18/5/2021. https://bit.ly/3gISHKB

على العدو بإطلاق الصواريخ الدّقيقة»، فيما دان رئيس مجلس الشورى الإيراني محمد باقر قاليباف «الجرائم الإسرائيلية المتواصلة ضد الشعب الفلسطيني، وانتهاك حرمة المسجد الأقصى[37].

ثانيًا: المواقف الدولية

الاتحاد الأوروبي

على مستوى الاتحاد الأوروبي، وعلى الرغم من القناعة التي يُبديها الاتحاد حول ضرورة اعتماد حلّ جذري للصراع، لا يزال الموقف خاضعًا لتداعيات التأييد المطلق الذي تحظى به دولة الاحتلال من قبل عدد من دول الاتحاد، وفي مقدّمتها المجر، وهو ما حال دون اتخاذ موقف موحّد حيال العدوان على غزة. وفي الوقت ذاته، لا يبدو الاتحاد مستعدًا لاتخاذ إجراءات من شأنها إجبار دولة الاحتلال على احترام التزاماتها بموجب القانون الدولي، فيما حاولت بعض الدول اتخاذ إجراءات منفصلة عن الاتحاد في إطار سياستها الداعمة للقضية الفلسطينية والرافضة لاعتداءات الاحتلال.

فقد اجتمع وزراء الاتحاد في 18/5/2021 لمناقشة ما يمكن فعله على مستوى الجهود الدبلوماسية لوقف العدوان على غزة. ولم يصدر عن الاتحاد بيان رسمي في نهاية الاجتماع، نظرًا إلى أنّ المجر، المؤيدة لدولة الاحتلال، امتنعت عن توقيع الإعلان المشترك بشأن الصراع فيما ينبغي إصدار القرار بالإجماع. وقال وزير الخارجية المجري بيتر زيجارتو إنّه لديه «مشكلة شاملة مع التصريحات الأوروبية عن إسرائيل، فهي لا تساعد كثيرًا، لا سيما في الظروف الراهنة، حين تكون التوترات شديدة إلى هذا الحد»[38].

وفي ظلّ عدم إصدار بيان بالإجماع، فقد عبّر جوزيب بوريل، مفوّض الأمن والسياسات الخارجية بالاتحاد الأوروبي، عن موقف يساوي بين دولة الاحتلال التي تعتدي على القدس والمقدسات وعلى الفلسطينيين من جهة، وبين المقاومة التي تردّ على هذه الاعتداءات وتصدّها. وفي هذا السياق، دعا بوريل إلى وقف فوري لكلّ أعمال العنف وتطبيق وقف إطلاق النار، وأعلن عن إدانة الهجمات الصاروخية من غزة والدعم الكامل لـ «حقّ إسرائيل في الدفاع عن نفسها شرط القيام بذلك بشكل متكافئ ومع احترام القانون الإنساني الدولي»[39].

على مستوى الدول، وفي إطار سياساتها الخارجية، طالب وزير الدولة البلجيكي، الرئيس الفخري للبرلمان الفيدرالي أندري فلاوو، رئيس الوزراء البلجيكي أليكساندر دوكرو، باتخاذ

37- الميادين، 11/5/2021. https://mdn.tv/6CKP

38- الأخبار، 18/5/2021. https://al-akhbar.com/Palestine/306227

39- عرب 48، 18/5/2021. https://short.arab48.com/short/emcT

خطوات عملية لوقف العدوان على الشعب الفلسطيني في غزة ،قائلاً إنّه لم يعد كافيًا مجرّد مسألة الدعوة إلى وقف التصعيد، بل لا بدّ من اتخاذ إجراءات ملموسة، مطالبًا بلجيكا باتخاذ «مبادرة قوية على المستوى الأوروبي لوضع حد لضجيج السلاح وحماية المدنيين، ومنع حدوث أزمة إنسانية وإخراج غزة من مأزق الموت الذي تعيشه منذ 15 عامًا»[40].

وعلى أثر توقّف العدوان، اعتمد برلمان بروكسل الإقليمي قرارًا لمصلحة فلسطين، يدعو لإدانة الاحتلال الإسرائيلي للأرض الفلسطينية، والاعتراف بدولة فلسطين على حدود 4/6/1967، ورفع الحصار المفروض على الأرض الفلسطينية، وتقديم الدعم للشعب الفلسطيني في مواجهة جائحة كورونا، وفرض عقوبات اقتصادية على دولة الاحتلال، ووقف البعثات الاقتصادية البلجيكية كافة إلى «إسرائيل»[41].

أمّا في النمسا، فرفعت الحكومة علم دولة الاحتلال فوق مقرّ وزارة الخارجية، تعبيرًا عن التضامن مع «إسرائيل»، ما دفع متضامنين مع الفلسطينيين إلى الخروج في تظاهرة في فيينا أمام مبنى رئاسة الوزراء، احتجاجًا على تلك الخطوة. وحمل المتظاهرون الأعلام الفلسطينية ولافتات تطالب بوقف القصف والاحتلال[42].

الموقف الأمريكي

أظهر الرئيس الأمريكي جو بايدن التزامه بأمن دولة الاحتلال والصداقة معها؛ وحافظ على موقفه متجاوزًا الضغوط التي مورست عليه، لا سيما من الجناح التقدمي في الحزب الديمقراطي، في مقابل موقف أكثر تشدّدًا تبنّاه الكونغرس ووصفه مركز أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي بدور «الشرطي السيّء»[43].

وقد تحرّك الموقف الأمريكي ضمن جملة من «الثوابت» التي درجت عليها الإدارات الأمريكية في التعاطي مع كلّ عدوان تشنّه دولة الاحتلال، من توفير الغطاء للعدوان عبر تصنيفه تحت عنوان الدفاع عن النفس، إلى إعطاء الحكومة الإسرائيلية الوقت اللازم لتحقيق أهداف تدّعيها، والحؤول دون إدانتها في الأمم المتحدة.

وأعلن بايدن تأييد العدوان الإسرائيلي على غزة عندما صنّفه في دائرة الدفاع عن النفس[44]،

40- البوابة نيوز، 20/5/2021. https://bit.ly/3hbioUr

41-وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وفا)، 28/5/2021. http://wafa.ps/Pages/Details/25325

42- الأناضول، 17/5/2021. http://v.aa.com.tr/2243845

43- Eldad Shavit: The United States and Israel: Insights following Operation Guardian of the Walls, INSS, 30/5/2021. https://bit.ly/3vRFLHE

44- موقع البيت الأبيض، 17/5/2021. https://bit.ly/34iA5LE

واستمرّ في تبنّي موقف دعم مطلق لدولة الاحتلال على مدى الأيام التسعة الأولى من العدوان، بما يتيح للإسرائيليين تسجيل أهداف يمكن أن تجعل موازين المعركة في مصلحتهم.

إلاّ أن جملة من التطورات أجبرت بايدن على تعديل موقفه والتشديد على ضرورة تخفيض التصعيد، أبرزها ارتفاع عدد المدنيين الذين قتلهم الاحتلال في غزة، من دون الإضرار بقدرة المقاومة على إطلاق الصواريخ، وفشل دولة الاحتلال في تحقيق أيّ إنجاز وفقدان أيّ إشارات إلى إمكانية حسمها المعركة، وتنامي الاستياء داخل الحزب الديمقراطي من العدوان؛ وهو استياء عبّرت عنه شخصيات معروفة بدعمها لدولة الاحتلال، إضافة إلى تصاعد انتقادات الجناح التقدمي في الحزب الديمقراطي، والضغوط الأمريكية والدولية المطالبة بوقف إطلاق النار[45].

وظهر التغيّر في موقف بايدن في اتصاله بنتنياهو في 19/5/2021. وقد جاء في البيان الصادر عن البيت الأبيض بعد الاتصال أنّ الجانبين ناقشا «التقدم الذي أحرزته إسرائيل في إضعاف قدرات حركة حماس ومنظمات أخرى في غزة»، وأنّ بايدن أبلغ نتنياهو «أنه يتوقع خفضًا كبيرًا للتصعيد اليوم، تمهيدًا لوقف إطلاق النار في غزة»[46].

وكان لافتًا خفوت الأصوات الداعمة لدولة الاحتلال في الحزب الديمقراطي. بل صدرت بيانات عن أعضاء في الكونغرس تشير إلى الضحايا المدنيين الفلسطينيين، أو أقلّه تساوي بين الجهتين[47]. فرئيس الأغلبية في مجلس الشيوخ، تشاك شومر، صمَتَ عن تأييد العدوان الإسرائيلي[48]، فيما عبّر رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ، السيناتور الديمقراطي بوب مينينديز، وهو من أبرز أنصار دولة الاحتلال، عن قلقه من سقوط مدنيين فلسطينيين وقصف مراكز إعلاميّة في غزّة[49].

كذلك، فإنّ السيناتور اليهودي عن الحزب الديمقراطي جون أوسوف أقنع 29 سيناتورًا ديمقراطيًا في مجلس الشيوخ بالتوقيع على عريضة تطالب بوقف فوري للنار، ضمن الضغوط التي مارسها الديمقراطيون على بايدن للتدخل[50].

وطالب السيناتور بيرني ساندرز (من المعسكر التّقدّمي في الحزب الديمقراطي) بمراجعة على ما

45- المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات: كيف تعاملت إدارة بايدن مع العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة؟ 27/10/2021. https://bit.ly/3gLwFH9

46- موقع البيت الأبيض، 19/5/2021. https://bit.ly/3wIy7k1

47- الأخبار، 29/5/2021. https://al-akhbar.com/Opinion/307093

48- الميادين، 18/5/2021. https://mdn.tv/6DPS

49- موقع لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي، 15/5م2021. https://bit.ly/2TZLvCc

50- الموقع الإلكتروني للسيناتور جون أوسوف، 16/5/2021. https://bit.ly/3xtT6qV

يقارب من 4 مليارات دولار سنويًا من المساعدات العسكرية لدولة الاحتلال، موكدًا أنه من غير القانوني دعم انتهاكات حقوق الإنسان[51]، وتقدّم ساندرز بمشروع قرار يرمي إلى منع صفقة بيع أسلحة أميركية لإسرائيل بقيمة 735 مليون دولار، بعد خطوة مماثلة لنواب ديموقراطيين تقدّميين بقيادة ألكسندريا أوكاسيو–كورتيز[52].

ومن قاعات الكونغرس، وصفت النائبة أوكاسيو–كورتيز دولة الاحتلال بأنّها دولة فصل عنصري[53]، فيما اتهمت النائبة إلهان عمر «إسرائيل» بارتكاب «أعمال إرهابية»[54]، وفي الحالتين لم تقابل كلمات النائبتين بمعارضة ديمقراطية واسعة النطاق.

ثالثًا: على المستوى الشعبي

عكست التظاهرات التي خرجت في الدول الأوروبية وفي الولايات المتحدة وكندا وغيرها الرفض الشعبي للعدوان الإسرائيلي مقابل التضامن مع الفلسطينيين. واعتدت السلطات والجيش على التظاهرات في عدد من الدول، فيما كان لافتًا تظاهرات الحدود التي جرت في الأردن وفي لبنان، حيث اقتحم عدد من المتظاهرين السياج الحدودي، في 14/5/2021، فأطلق الاحتلال عليهم النار ما أدّى إلى استشهاد الشاب محمد طحّان[55].

عربيًا وإسلاميًا

أخرجت تطورات معركة سيف القدس الآلاف إلى الشوارع للتظاهر وإعلان رفضهم للعدوان الإسرائيلي على غزة وتأييدهم المقاومة ووقوفهم إلى جانب الفلسطينيين، فكانت التظاهرات أشبه باستفتاء على مدى حضور القضية الفلسطينية في الوجدان العربي والإسلامي الشعبي، بعدما أريد لاتفاقيات التطبيع، التي وقّعت من دون الرجوع إلى القاعدة الشعبية، أن تكون الناطق باسم شعوب المنطقة، وإن لم تكن مرّت عبر المؤسسات الشعبية حين التوقيع عليها. وهذا ما يتوافق مع نتائج المؤشر العربي التي بيّنت أنّ المجتمعات العربية ما زالت تعتبر القضية الفلسطينية هي قضيّة العرب جميعًا، وليست قضيّة الفلسطينيين وحدهم، وأنّ 88% من مواطني المنطقة العربية يرفضون الاعتراف بدولة الاحتلال[56].

51– حساب بيرني ساندرز على تويتر، 16/5/2021. https://bit.ly/3wPwrp1

52– الأخبار، 20/5/2021. https://al-akhbar.com/Palestine/306411

53– الجزيرة، 16/5/2021. https://aje.io/xcly5

54– وكالة الأناضول، 10/5/2021. http://v.aa.com.tr/2236352

55– عرب 48، 14/5/2021. https://short.arab48.com/short/9kAf

56– العربي الجديد، 6/10/2020. https://bit.ly/3xHahFr

ففي المغرب، خرجت تظاهرات داعمة للفلسطينيين ورافضة للعدوان الإسرائيلي في عدد من المدن، وبمشاركة مختلف الأطياف السياسية والأعمار. وأطلقت «الجبهة المغربية لدعم فلسطين وضد التطبيع» نداءً لتنظيم يوم وطني تضامني مع الشعب الفلسطيني ضد العدوان في 16/5/2021، بمشاركة أكثر من 15 هيئة مغربية؛ واستجابت لهذا النداء حوالي 40 مدينة[57]. وشارك مئات المغاربة، في 17/5/2021 في وقفة بمدينة القنيطرة تضامنًا مع قطاع غزة والقدس، مردّدين هتافات «الشعب يريد إسقاط التطبيع»[58].

وفي تونس، شهدت مدينة صفاقس تظاهرات منددّة بالعدوان وداعمة للفلسطينيين، وسط دعوات إلى تجريم التطبيع. وردّد المشاركون هتافات منددّة بالاعتداءات الإسرائيلية، ومنها: «الشعب يريد تحرير فلسطين»، و«الشعب يريد تجريم التطبيع»[59].

وفي اليمن المحاصر، خرجت تظاهرات حاشدة في مختلف المحافظات رفضًا للعدوان، ولتأكيد دعم الشعب اليمني للقضية الفلسطينية[60]. وعلى أثر توقّف العدوان، أُعلن عن جمع ما يقارب 240 ألف دولار في حملة انطلقت لدعم الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، وتسابق اليمنيون للمشاركة في دعم الفلسطينيين، إذ قدّمت نساء حليّهنّ، وأطفال أفرغوا ما جمعوه في حصالاتهم، وباع آخرون رصاصاتهم وساعاتهم الشخصية للمشاركة في الحملة[61].

وشارك آلاف المتظاهرين في تظاهرة أمام السفارة الأميركية في العاصمة الإندونيسية جاكرتا للمطالبة بوقف العدوان على غزة[62]. وشهدت العاصمة الإيرانية طهران مسيرة حاشدة دعمًا لفلسطين[63]؛ وفي تركيا تظاهر نشطاء أتراك وعرب أمام سفارة الاحتلال في أنقرة وقنصليّته في إسطنبول، إضافة إلى وقفات تضامنية في عدد من المحافظات التركية[64]، وخرجت تظاهرات مؤيدة للفلسطينيين في العراق، ورفع المشاركون أعلام العراق وفلسطين، وأحرقوا العلمين الأمريكي والإسرائيلي، وردّدوا شعارات مؤيّدة للقدس[65]. وفي الأردن، تظاهر الآلاف وطالبوا

57- الجزيرة، 16/5/2021. https://aja.me/c2grb

58- الميادين، 18/5/2021. https://mdn.tv/6DQ9

59- الجزيرة، 18/5/2021. https://aja.me/v3p5n

60- الميادين، 17/5/2021. https://mdn.tv/6DGz

العربي الجديد، 17/5/2021. https://bit.ly/3fyVzKq

61- شبكة قدس الإخبارية، 30/5/2021. https://qudsn.net/post/184460

62- **الجزيرة**، 18/5/2021. https://aja.me/v3p5n

63- **الميادين**، 13/5/2021. https://mdn.tv/6CqQ

64- **الميادين**، 11/5/2021. https://mdn.tv/6CK6

65- **رأي اليوم**، 15/5/2021. https://bit.ly/3qan80m

بفتح الحدود مع فلسطين المحتلة لنصرة القدس وغزة، وبطرد سفير الاحتلال من عمّان وإغلاق سفارة الاحتلال[66].

الولايات المتحدة والدول الأوروبية

كانت التظاهرات التي خرجت في الولايات المتحدة دعمًا لفلسطين ورفضًا للعدوان على غزة ذات دلالات مهمة، إذ كانت أضخم من تلك التي نظّمها أنصار دولة الاحتلال لدعمها. وخرجت تظاهرات في كل من نيويورك وميشيغن وواشنطن، ونظّمت فعاليات احتجاجية أمام البعثة الإسرائيلية لدى الأمم المتحدة وأمام سفارة الاحتلال.

عكست التظاهرات في الولايات المتحدة تصاعد التأييد الشعبي للقضية الفلسطينية، ورسمت مشهدًا يتكامل مع نتائج استطلاع لمركز «جالوب» عن شهر شباط/فبراير 2021 ،بيّنت نتائجه تزايد الدعم للفلسطينيين، وإن كان لغالبية المستطلَعين موقف إيجابي حيال دولة الاحتلال، واهتمام غالبية الديمقراطيين بممارسة ضغط أمريكي أكبر على دولة الاحتلال[67].

كذلك ،خرجت تظاهرات في مدن أوروبية مختلفة، مثل لندن وبلجيكا وبرلين ومدريد وباريس، وتظاهر المئات من النشطاء وأبناء الجاليات العربية والفلسطينية أمام سفارة الاحتلال بالعاصمة الدانماركية كوبنهاغن، حيث واجهت الشرطة الدانمركية المتظاهرين وفرّقتهم بقنابل الغاز المدمع.

منصّات التواصل الاجتماعي

انطلقت معركة سيف القدس والعدوان على غزة في وقت يمكن وصفه بالمعاكس لمصلحة «إسرائيل»، من حيث سيطرة الإعلام الحديث على مفاصل المشهد، وتحوّل هذه المنصّات إلى مصدر للأخبار المباشرة من الميدان موثّقة بعدسات الهواتف النقّالة، التي نقل أصحابها عبرها، من الميدان إلى الملايين حول العالم، مشاهد همجية العدوان واستهدافه المدنيين. وبذلك، خرجت الأمور من يد «إسرائيل» التي كانت تسيطر إلى حدّ كبير على الإعلام التقليدي، وتتحكم بالمشهد عبر تواصل المؤسسات الصهيونية مع قادة شركات الأخبار الكبرى لضمان نفي الرواية العربية، في مقابل إعطاء الأولوية لبثّ الرواية الصهيونية وتسييدها[68].

ولا ينفي ذلك أنّ منصّات التواصل حاربت المحتوى الفلسطيني، لكن من دون أن تمنع وصول الرواية الفلسطينية التي كانت تنتشر وتعلو على أكاذيب الاحتلال ومزاعمه. وقد

66- الجزيرة، 15/5/2021.. https://aja.me/k2ye3

67- Gallup, 19/3/2021. https://bit.ly/3gXu3Ww

68- الأخبار، 29/5/2021.. https://al-akhbar.com/Opinion/307093

اجتذبت متضامنين من حول العالم، من مثقّفين وممثّلين ومؤثّرين وغيرهم؛ وصحيح أنّ بعض من أعلنوا تأييدهم عادوا وتراجعوا، غالبًا بسبب الضغط الصهيوني عليهم[69]، إلا أنّ انتشار الرواية الفلسطينية كان أكثر تأثيرًا من ذلك التراجع.

رابعًا: التعاطي مع تداعيات المعركة

حقّقت المقاومة الفلسطينية في معركة سيف القدس إنجازات مهمّة ،فأثبتت قوّتها وشعبيّتها والقدرة على المبادرة إلى ضرب الاحتلال، واختيار توقيت المعركة، وتنامي خبرتها التقنية وقدرتها العسكرية[70]؛ وكرّست دورها كمدافع عن القدس والأقصى، لتُخرج إلى دائرة الفعل ما التزمت به في خطابها لسنوات عبر تأكيدها أنّ القدس والأقصى خطّ أحمر. كذلك، أعطت المعركة دفعة إيجابية لقوى المقاومة في المنطقة وأكّدت مركزية القضية الفلسطينية على مستوى أيّ مقاربة للمنطقة، لا يمكن أن يؤدّي تجاهلها وإهمالها إلى حلّها تلقائيًا أو تلاشيها.

كما حازت المقاومة التفافًا شعبيًا كبيرًا في الداخل والخارج، في ظلّ حسن إدارتها المعركة، وقدرتها على الضرب في العمق الإسرائيلي، وكانت فاتحة إنجازاتها مع تمكّنها من إجبار الاحتلال، مع الرشقات الصاروخية الأولى على القدس، على إلغاء مسيرة الأعلام التهويدية التي ظلّ الاحتلال متمسكًا بها في محاولة للتعويض عن عدم قدرته على تأمين اقتحام المستوطنين المسجد الأقصى في اليوم ذاته، الذي وافق 28 رمضان، لمناسبة «يوم القدس»، بعدما تصدّى له المرابطون في المسجد على مدى اليوم.

ومن دون إغفال الموقف الشعبي خارج فلسطين، كما عكسته التظاهرات التي شهدتها دول العالم على اختلافها، فإنّ معركة سيف القدس عزّزت الموقف الشعبي الفلسطيني الإيجابي حيال المقاومة. فوفق استطلاع للرأي العام الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة ما بين 12–9 حزيران/يونيو 2021، أجراه المركز الفلسطيني للبحوث السياسيّة والمسحيّة، أظهرت نتائج الربع الثاني من عام 2021 تغيرًا جوهريًا في مواقف الرأي العام الفلسطيني تجاه السلطة الفلسطينية وقيادتها، وتجاه حركة حماس، وتجاه العلاقة مع دولة الاحتلال. وتظهر النتائج أن نسبة 77% من الفلسطينيين تعتقد أنّ حركة حماس انتصرت في المواجهات مع «إسرائيل»، فيما يعتقد 72% منهم أنّ إطلاق الصواريخ على المدن الإسرائيلية جاء نصرة للأقصى وللشيخ جرّاح. وتظهر النتائج استياء واضحًا من أداء السلطة الفلسطينية وحكومتها وقيادتها وحركة فتح في أثناء المواجهات والحرب. وللخروج من الأوضاع الراهنة، تقول نسبة 27% إنها تفضّل التوصل

69- الجزيرة، 27/5/2021.. https://aja.me/hp928v

70– وليد عيد الحي: الآفاق المستقبلية لمعركة سيف القدس، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 25/5/2021.. https://bit.ly/3xJhPrh

إلى اتفاق سلام مع دولة الاحتلال، فيما تقول نسبة من 39% إنها تفضّل شنّ كفاح مسلّح ضد الاحتلال الإسرائيلي، فيما قالت نسبة 36% إنّها تفضّل التوصل إلى اتفاق سلام، ونسبة 26% قالت إنها تفضّل شنّ كفاح مسلّح، في استطلاع أجراه المركز قبل ثلاثة أشهر[71].

الإنجاز الميداني للمقاومة والالتفاف الشعبي حولها كان مصدر قلق كبير على المستوى الرسمي الإقليمي والدولي، نظرًا إلى ما يعنيه ذلك من تأكيد لإخفاق مسار التسوية السلمية وفشل مسار التطبيع، وإمكانية استفادة «محور المقاومة» من الإنجاز، وتصاعد الخطر بالنسبة إلى دولة الاحتلال. لذلك، يبدو أنّ الدول المتضرّرة من الإنجاز الذي حقّقته المقاومة، حتى تلك التي شجبت العدوان، ستكون معنيّة بتحجيم المقاومة وتقليص أهمية إنجازها، وإعادة إحياء السلطة ومعها مسار المفاوضات، والعمل على عزل قوى المقاومة وإضعاف مشروعها على مستوى فلسطين والمنطقة.

ولعلّ أولويات بايدن في ما خصّ التعاطي مع تداعيات سيف القدس تشمل تحصين أمن دولة الاحتلال وإعادة ترميم قدرتها «الدفاعية»، وعزل حركة حماس ومحاصرتها، وإعادة إحياء مسار المفاوضات. ففي مؤتمر صحفي في 21/5/2021، قال بايدن في إجابة على سؤال حول الرسالة التي يوجّهها إلى الديمقراطيين الذين يدعونه إلى مواجهة «إسرائيل» ومن ينتقدون صفقة الأسلحة التي عقدت مؤخرًا مع دولة الاحتلال، إنّه لن يغيّر من التزامه بأمن «إسرائيل»، مشيرًا في الوقت ذاته إلى أنّ الحاجة إلى حلّ الدولتين لا تزال قائمة[72]، مع ما يعنيه هذا الأمر من حاجة إلى تعزيز دور السلطة الفلسطينية وإيجاد سبيل للعودة إلى مسار المفاوضات.

وقال بيان صادر عن بايدن في 24/5/2021 ،إنّ تكليفه وزير الخارجية بزيارة إلى المنطقة جاء لتنسيق الجهود الدولية وللتأكد من وصول المساعدات إلى غزة بشكل يستفيد منه الشعب الفلسطيني وليس حركة حماس[73]. كذلك، أكّد وزير الدفاع الأمريكي لويد أوستن، في 18/6/2021، التزام البنتاغون بتخصيص الميزانيات اللازمة لإعادة مخزون صواريخ القبّة الحديدية الإسرائيلية إلى ما كان عليه قبل العدوان الإسرائيلي الأخير على غزة في أيار/مايو 2021، وأنّه سيرسل طلبًا مفصّلاً للكونغرس حول المبلغ المطلوب[74]، وذلك بناءً على نقاش مسبق مع وزير الجيش في حكومة الاحتلال بني غانتس، الذي التقى أوستن لهذه الغاية في 3/6/2021؛ وقد أكّد الأخير التزام الرئيس بايدن بتعزيز منظومة القبّة الحديدية[75].

71– المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية، 15/6/2021. https://pcpsr.org/ar/node/844

72– The Hill, 21/5/2021. https://bit.ly/3xFJwBv

73– موقع البيت الأبيض، 24/5/2021. https://bit.ly/3cQs1GD

74– الميادين، 18/6/2021. https://mdn.tv/6FLt

75– موقع وزارة الدفاع الأمريكية، 3/6/2021. https://bit.ly/3j3TGI4

على المستوى المتعلّق بالتطبيع، يمكن القول إنّ معركة سيف القدس وتطوراتها أكّدت أنّ التطبيع لم يحصّن دولة الاحتلال ولم يحقّق تطلعاتها إلى إنهاء القضية الفلسطينية. وفي هذا السياق جاء كلام مفوّض الأمن والسياسات الخارجية بالاتحاد الأوروبي جوزيب بوريل، الذي أشار إلى أنّ «تطبيع عدد من الدول العربية علاقاتها مع إسرائيل أعطى انطباعًا بأنّ القضية الفلسطينية انتهت»، معلنًا عن ضرورة العودة إلى مفاوضات حقيقية من أجل حلّ دائم عبر تسوية سياسية تقوم على حلّ الدولتين[76].

خاتمة

وعليه، فإنّ ملامح المواقف والجهود الدولية والإقليمية على مستوى الأطراف التي تساند دولة الاحتلال وتدور في فلك الموقف الأمريكي عمومًا، تشير إلى أنّ العمل جارٍ لمنع المقاومة، لا سيمّا حركة حماس، من جني أيّ مكاسب سياسية بعد معركة سيف القدس ومحاصرة هذا المسار ومنعه من تعزيز قوّته وقدراته، في مقابل محاولات تعويم السلطة الفلسطينية عبر الدفع باتجاه إعادة إحياء مسار المفاوضات الذي لا تزال السلطة متمسّكة به كمسار يحفظ حياتها واستمرارها، في ظلّ تنافرها التام مع مسار المقاومة وعجزها عن الاستفادة السياسية من أوراق القوّة التي يحقّقها هذا المسار.

76- الجزيرة، 23/5/2021. https://aja.me/ctbpl

«معركة سيف القدس: هل تؤسس لمرحلة جديدة في الصراع مع المشروع الصهيوني»؟

عُقِدت في مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية، في 3/06/2021، حلقة نقاش خاصة حول معركة سيف القدس بعنوان: «معركة سيف القدس: هل تؤسس لمرحلة جديدة في الصراع مع المشروع الصهيوني؟». وقد أدارها مدير مركز باحث الدكتور يوسف نصرالله، وذلك بمشاركة عدد من الباحثين والخبراء في الشؤون الفلسطينية والإقليمية، وهم:

– محمد خواجة، نائب عن كتلة التنمية والتحرير في البرلمان وعضو مكتب سياسي في حركة أمل.

– معن بشّور: الأمين العام للمؤتمر القومي العربي السابق.

– د. سيف دعنا: عميد كلية العلوم الاجتماعية في جامعة ويسكونسن، وأستاذ علم الاجتماع فيها.

– د. عبد الحليم فضل الله: رئيس المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق.

– محسن صالح: مدير عام مركز الزيتونة للدراسات.

– د. طلال عتريسي: باحث وأستاذ جامعي.

– ميخائيل عوض: كاتب ومحلل سياسي.

– د. عباس إسماعيل: أستاذ جامعي وباحث في الشؤون الإسرائيلية.

وقد استهلّ مدير المركز، الدكتور يوسف نصر الله، الحلقة النقاشية بالكلمة الآتية:

الدكتور يوسف نصرالله:

أتوجّه بعظيم الشكر وعظيم الامتنان إلى الأساتذة الكرام، وأرحّب بكم فرداً فرداً في مركزكم، وأشكر لكم حسن تلبيتكم للدعوة إلى حلقة نقاش حول معركة سيف القدس. هل تؤسس هذه المعركة إلى مرحلة جديدة في تاريخ الصراع مع المشروع الصهيوني؟ لا يخفى أن معركة سيف القدس أعادت الاعتبار إلى مكانة القضية الفلسطينية بوصفها قضية مركزية للصراع بعد سنوات من الانشغال في نزاعات الإقليم وفي معارك الإقليم، وبعد دفع أمريكي إلى تعزيز مسار التطبيع مع العدو لتصفية هذه القضية وإلى إشغال كل قطر عربي بمشكلاته وبأزماته الداخلية. هذه المعركة تمخضت عن نتائج متداخلة متنوعة ومتشابكة، منها ما تحقق بالكامل، ومنها ما ينتظر المستقبل كي يُستكمل بمنجزات قياسية إن شاء الله. هذه المعركة التي ارتقت بكل المقاييس إلى فعل حرب، بكل ما للكلمة من معنى، قد تكشفت عن نتائج وعن معادلات جديدة في قواعد المواجهة، وهي معادلات، مكمّلة لبعضها، وتشكّل خطورة على مستقبل الكيان الاسرائيلي، بلحاظ أنها تفضي على المستوى الاستراتيجي إلى الإضرار بأمنه القومي. ولعل أهم هذه المعادلات هي معادلة الربط بين ساحات الداخل الفلسطيني المتعددة، تضامن هذه الساحات وتكافل هذه الساحات، لاسيما بين غزة والقدس، وتلاحم القطاعات المختلفة في عملية المواجهة. وهذه المعادلة باتت واقعاً بفعل وقائع الميدان ومنجزاته، وإن لم يجر الاعتراف الرسمي بمحدداتها، ربطاً برفض تل أبيب الإقرار الرسمي بها والانصياع العلني لمفاعيلها كي لا تبدو كمن خضع لمطالب المقاومة الفلسطينية وشروطها المتصلة بوقف إطلاق النار. لكن تل أبيب تدرك أن معطيات تفعيل هذه المعادلة باتت متوافرة لدى المقاومة الفلسطينية، كنتيجة من نتائج المواجهة ونتيجة من نتائج الصراع ونتيجة من نتائج الميدان.

لم يعد باستطاعة العدو تجزئة الصراع أو المواجهة، وأن يقوم بأي فعل عدواني اتجاه القدس والمقدسيين، أو اتجاه الضفة ،أو اتجاه أي ساحة من ساحات الداخل الفلسطيني المحتل من دون أن تحضر في ذهنه، وفي وعيه السياسي والأمني والعسكري، مواقف المقاومة الفلسطينية ورد فعلها وجاهزيتها للذهاب بعيداً في عملية التصعيد. هذه المعادلة، معادلة الربط بين الساحات، لا شك أنها أقلقت الاسرائيلي وشكّلت مفاجأة صادمة له، لناحية أنها أعادت وصل ما كان اتفاق أوسلو المشؤوم جزّأه وفكّكه، ولناحية أنها أكدت منطق المقاومة واقتدارها العسكري ودورها الحمائي للفلسطينيين، كل الفلسطينيين، أينما كانوا وأينما وُجدوا؛ وربطاً بهذه المعادلة، أي ربطاً بمعادلة الربط، تكشفت معركة سيف القدس عن أن فلسطينيي 48 هم الأقوى في المنظومة الفلسطينية المقاومة، وأن خطرهم على الإسرائيلي يعدل خطر صواريخ غزة، وأن كل المحاولات الإسرائيلية لسلخهم عن هويتهم قد باتت هباءً منثورا، وأن كل المليارات لإعادة دمج الشباب الفلسطيني في المجتمع الإسرائيلي كانت مجرد أوهام. لقد جاء اصطفاف فلسطينيي 48 وسواهم

إلى جانب القدس وإلى جانب قطاع غزة، ليؤكد فشل السياسة الإسرائيلية التي كانت تتعامل مع الفلسطينيين وفقاً لتموضعهم الجغرافي، وليعيد من ناحية ثانية انخراط هؤلاء مجتمعين في وحدة مسار والمصير لتحرير كامل الأراضي الفلسطينية من البحر إلى النهر. وفي السياق أيضاً، بدا أن ثمة رابط عضوي بين ارتقاء المقاومة في الداخل الفلسطيني وبين ساحات المواجهة والكباش مع العدو الاسرائيلي على مستوى المنطقة وعلى مستوى الإقليم. لقد تكشفت هذه المعركة عن فشل الاستراتيجيات الإسرائيلية التي كانت مفعّلة في السنوات الماضية، والتي كانت ترى أن الحدث الفلسطيني هو حدث إشغالي يُراد من خلاله صرف اهتمام «إسرائيل» عن الانشغال بمواجهة التهديد الأكثر خطورة على الجبهة الشمالية. فسرعان ما بدا لصانع القرار في تل أبيب أن ما حدث على الجبهة الجنوبية ليس منفصلاً عن الجبهة الشمالية، وأن التباهي الاسرائيلي بما يسمى المعركة بين الحروب كان سبباً أساسياً لتجاهل تعاظم ما يسميه اليوم بمعضلة قطاع غزة.

بالمقابل، نرى قلقاً اسرائيلياً من إمكانية أن تتحول المقاومة على الجبهة الجنوبية إلى ما يشبه المقاومة على الجبهة الشمالية؛ وبالتالي، ارتداع «إسرائيل» وعجزها ليس عن استهداف المقاتلين الفلسطينيين، بل عجزها عن الاعتداء على المدنيين. وهناك أيضاً قلق إسرائيلي من سعي المقاومة الفلسطينية إلى تحسين دقة قدراتها الصاروخية، وتحويل ترسانتها وقدراتها التقليدية إلى أسلحة ذكية، ومدى انعكاس ذلك على كل مستقبل الصراع. وأيضاً، برز قلق إسرائيلي من الضعف الذي ظهر في الميدان، لناحية قدرة الإسرائيلي وعدم قدرته على فرض سيطرته وإملاء إرادته رغم كل الأعمال الوحشية التي قام بها، وعجز هذا الجيش عن جلب «البضاعة» التي كان قد وعد بجلبها. فالصهاينة لم يستطيعوا تسجيل أي نصر ميداني، مع إدراكهم أن المسألة لم تعد تتصل بالكرامة الوطنية، بل باتت حاجة استراتيجية، لأن من يجلس على مقاعد المتفرجين للنظر إلى أداء الجيش الإسرائيلي المتعثر وتقييمه وبناء المخططات والخطط والمواقف والتقديرات بشأنه هم: حزب الله، السوريون، والإيرانيون ؛أي هم مكوّنات محور المقاومة؛ وبالتالي فإن خشية «إسرائيل» على صورتها وقدرتها تتجاوز الساحة الغزية إلى كل ساحات الكباش والمواجهة مع محور المقاومة، لا سيما وأن المعركة أدت إلى سقوط مركّبات العملية الأمنية الإسرائيلية؛ تآكل قدرة الردع لديها، وتبدّد القدرة على الحسم. لقد افتقرت تل أبيب إلى سردية ورواية نصر بالمقدور تسويقها خارجياً أو داخلياً لإقناع جمهورها الداخلي؛ فضلاً عن تهافت استراتيجية نقل المعركة إلى أرض العدو. فما شهدناه هو حرب حقيقية داخل الحدود المفترضة للكيان الإسرائيلي. على كلٍّ، كل ما حصل يشي بأن قواعد اللعبة قد تغيرت، وأنه لم يعد باستطاعة الإسرائيلي إلاّ الإقرار بالمعلدلة الجديدة التي سوف تحكم قواعد الكباش بينه وبين المقاومة ىالفلسطينية، وذلك بعد أن كشفت المواجهة عن حدود القدرة لدى «إسرائيل»، وحدود مفاعيل قوتها، وبعد أن أكدت على عدم إمكانية تطبيع غزة ليتفرغ العدو إلى مواجهة الخطر الأكبر على الجبهة الشمالية؛ وبعد

أن بدّدت هذه المواجهة، أيضاً، كل رهانات العدو على مفاعيل سياسة التطبيع لاحتواء الفلسطيني وإضعافه وتصفية قضيته وإضعافه عربياً.

ومع ذلك تبقى ثمة أسئلة مشروعة وقلقة، ستحاول هذه الحلقة النقاشية الإجابة عنها أو توضيحها؛ منها ما يتصل بالدور الفاعل لمحور المقاومة في عملية المواجهة وكيفية تطوير هذا الدور؛ ومنها ما يتصل بالقدرة على تحويل التحركات الشعبية الدائمة إلى حركة منظمة وإدخالها كعنصر حاسم في مكوّنات الصراع؛ ومنها ما يتصل بالقدرة على مواجهة محاولات العدو لإجهاض نتائج النصر والمواجهة؛ ومنها ما يتصل بانعكاس المواجهة على مسارات التطبيع ومستقبل هذه المسارات؛ ومنها ما يتصل بقواعد الاشتباك الجديدة التي فرضتها معركة سيف القدس ،وبمعاني التحول الاستراتيجي الذي تحقق من خلال انخراط فلسطينيي أراضي 48 في عملية المواجهة. هذه الأسئلة وسواها هي ما سوف نحاول أن نقدّم إجابات بشأنها في هذه الحلقة.

الأستاذ معن بشّور:

السلام عليكم جميعاً. بداية لا بدّ من شكر الدكتور يوسف نصر الله ومركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية على تنظيم هذه الحلقة النقاشية البالغة الأهمية. بالتأكيد،هناك تحليلات ومقالات ودراسات كثيرة قد صدرت لتحليل نتائج الحرب التي شهدناها أخيراً في فلسطين. وبالتأكيد، فإن الحديث عن نتائج وتداعيات هذه الحرب ليس مجرد تنبؤ؛ فالنتائج مرهونة بالطريقة التي سوف نتصرف فيها، كفلسطينيين وكعرب، وكقوى للمقاومة وكحركة شعبية تحررية، عربية وعالمية، إزاء هذا الحدث التاريخي.

كلّنا يعرف أنها ليست المرة الأولى التي نحقق فيها انتصارات؛ ولكن كلنا يعرف أيضاً أننا في كثير من الأحيان قد حوّلنا النصر العسكري إلى هزيمة سياسية. ولعل المثل الواضح هو ما جرى بعد حرب تشرين1973؛ يومها نجح الصهاينة في تغيير الوضع ، بعد العبور التاريخي للجيش المصري لقناة السويس، وبعد الوصول التاريخي للجيش السوري إلى مشارف طبريا، حيث جرى إدخال القوات الصهيونية إلى غرب القناة وبدء المفاوضات تحت عنوان فك الارتباط 1، وفك الارتباط 2، وصولاً إلى زيارة أنور السادات للكنيست، ثم إلى اتفاقية كامب ديفيد التي أثبتت كيف أن انقلاباً في الموازين السياسية يتحول إلى انقلاب على المستوى العربي العام.

وفي حالتنا، فإن الدفرسوار الذي حصل تمثّل في الانقسام الفلسطيني، من خلال إيحاء كل طرف بأنه مستهدف بما جرى؛ الإيحاء للسلطة بأن دورها انتهى، مع محاولة جذبها إلى معسكر آخر، والإيحاء للمقاومة بأنها انتصرت؛ وبالتالي صار بإمكانها أن تتجاوز التضاريس والانقسامات التي تعيشها فلسطين.إذاً، الدفرسوار السياسي هو أخطر ما يُهدّد هذا الانتصار، والذي يجب

أن نتذكر دائماً أنه ثمرة تكامل مقاومتين، مقاومة عسكرية ومقاومة شعبية؛ تكامل المقاومتين هو سبب الانتصار. كما يجب إدراك أن التسلل إلى الدفرسوار السياسي تمارسه جهات عديدة، وأن له غاياته لدى معظم الأطراف؛ المنتصر ينتشي بانتصاره فيهمل الحقائق الموضوعية؛ والذي لم يشارك في صنع الانتصار قد يُصبح فريسة لإغراءات متعددة. إذاً، المعركة لم تنته بعد. بدون شك، الإيجابيات التي حصلت كثيرة، وتم ذكر بعضها، ولكن علينا أن ننتبه أن العدوان لم ينته بعد. قتل الشباب الفلسطيني واستمرار الاعتقالات يثبت أن العدوان لا زال متواصلًا؛ محاولات إخلاء البيوت في حي الشيخ جراح وفي بطن الهوى، وفي سلوان أيضاً، تُشير إلى أن العدوان لا زال مستمراً. لذا فالوحدة الفلسطينية يجب أن تُستكمل، ويجب أن نسعى جميعاً لتحصينها، وأن لا نغري أحداً بأنه يمكن أن ينفرد بالانتصار؛ التكامل الفلسطيني اليوم هو شرط من شروط الانتصار. طبعاً، هذا الانتصار له عدة عوامل؛ منها العسكري الذي ينبغي تطويره،ومنها السياسي الذي يجب الاستفادة منه. يجب العمل على الدائرة العربية والإسلامية التي برزت وتحويلها إلى فعل منظّم ومستمر. فلم يسبق لنا أن شهدنا هذا الحراك الشعبي العربي والعالمي والإسلامي حول معركة فلسطين. يجب الاستفادة من نقاط القوة هذه للانتقال إلى مرحلة جديدة من الصراع.

الأستاذ محمد خواجة:

بداية لا بد من توجيه الشكر للدكتور يوسف نصر الله ولكل العاملين في مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية.

نحن الآن أمام مشهدية انتصار ثلاثية الأبعاد، أربكت العدو ووحّدت الفلسطينيين في الشارع وفي الميدان، من قطاع غزة إلى الضفة المنتفضة، وصولاً إلى ما يسمّى بأراضي 48.

غزة، حتى بدء معركة سيف القدس،كانت قد خاضت ثلاث جولات قتالية بمواجهة العدو الإسرائيلي، كانت أعنفها الجولة الأخيرة عام 2014 «الجرف الصامد»، التي استمرت 52 يوماً. لكن جولة سيف القدس كانت الأهم من حيث المفاعيل والتأثيرات رغم المحدودية الزمانية؛ فهي امتدت فقط لـ11 يوماً. أما بالنسبة لأوجه التميز، فيمكن تحديدها كالآتي :

أولاً، لأول مرة تبادر المقاومة الفلسطينية إلى فتح المعركة، انتصاراً للقدس والأقصى، مع تحديد أوقات معينة لإيقاف إطلاق النار والتهديد.

في الحروب العربية–الإسرائيلية الكلاسيكية وغير الكلاسيكية، باستثناء حرب تشرين، لم يكن العرب هم المبادرين، مع فارق أنه في حرب تشرين كانت الحرب بين جبهتين كبيرتين، وكانت تساندهما جبهات داخلية واسعة، وبين قطاع غزة الذي يعاني من محدودية الجغرافيا وكثافة الديمغرافيا. ورغم ذلك، كانت هناك صلابة في الموقف وجرأة في القرار في فتح المعركة دون

انتظار مباشرة العدو.

الأمر الثاني أنه كان هناك قوة صاروخية في مكان ما تشبه حرب تموز 2006،حيث بقيت الوتيرة الصاروخية تقريباً على ثبات عالٍ طوال المعركة. وهذه الوتيرة المنطلقة من قطاع غزة تتميز حتى عن حرب لبنان الثانية، أن مدى الصواريخ وصل إلى أبعد النقاط.

كانت حماية الجبهة الداخلية شغل الإسرائيلي الشاغل لصد الصواريخ القادمة من خارج الحدود، وكانت المفخرة لديه وجود القبة الحديدية، خاصة أنها من الممكن أن تتعامل مع كل الصواريخ التي هي دون الصواريخ الباليستية؛ لكن في الحقيقة لم تصل الحماية من خلالها لأكثر من 40%.فقد عملت المقاومة على تكتيك الإغراق الصاروخي، بأن ترمي عدداً كبيراً من الصواريخ باتجاه نفس الهدف. لذا لم تكن القبّة الحديدية على قدر الآمال الإسرائيلية.

الأمر الثالث تمثّل في عدم دخول القوات البرية إلى قطاع غزة رغم خطورة الوضع، خوفاً من الكلفة العالية.

الأمر الرابع تمثل في وجود ارتقاء في أداء منظومة القيادة والسيطرة لدى المقاومة. فقد استطاع المقاومون تحديد وقت إطلاق النار المعلن، والتحكم به أيضاً.

المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة أدخلت عنصراً جديداً، ولو أنه ما زال في وضعية الاختبار، وهو استعمال المسيّرات غير المأهولة. في حرب 2006 استخدم الإسرائيلي المسيّرات على نطاق واسع؛ وبعدها سعت الكثير من الدول لامتلاكها. وفي اعتقادي، هي سوف تُستعمل بطريقة أكبر وأشمل في الحروب القادمة. إن عالم العولمة عمّم الأفكار، وفضح الأسرار العسكرية؛ والدليل على ذلك أن قطاع غزة، على الرغم من وضعه الصعب، استطاع أن يصنع مسيّرات من إنتاج ذاتي.فتعميم التكنولوجيا سوف يفيد الطرف الضعيف ضد الطرف القوي في الحروب القادمة.

وفي تقديري، فإن تركيز الإسرائيلي أثناء معركته ضد قطاع غزة كان في مكان آخر.

فحلفاء المقاومة لديهم 10 أضعاف ما لدى الفلسطيني في غزة، كماً ونوعاً. وهذا يعني أن الحروب الإسرائيلية قد ترسخت في غزة بعد حرب 2006على لبنان، وباتت أصعب في المستقبل، ولن تكون عبارة عن نزهة. الحروب الإسرائيلية المستقبلية سوف تكون مكلفة ولن تكون مضمونة النتائج عند التخطيط لها؛ والإسرائيلي سيكون أكثر ارتباكاً.

الدكتور محسن صالح:

السلام عليكم ورحمة الله. أتقدم بالشكر الجزيل للدكتور يوسف نصر الله وللإخوة في مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية.

لقد اجتمعت في معركة سيف القدس عدة أمور حتى وصلنا إلى وضعنا الحالي:

الأمر الأول: تقدير الله سبحانه وتعالى. قبيل المعركة بقليل، كنّا على مشارف انتخابات فلسطينية وانشغال واسع بحملات انتخابية،حيث يعلن محمود عباس وحركة فتح عن تعطيل المسار الديمقراطي وتعطيل الانتخابات، ويصاب الفلسطينيون بحالة إحباط شديد مع سخط واسع، في الإطار الفلسطيني في الداخل والخارج بسبب قرار عباس وقيادة فتح، والعودة إلى حالة الانقسام.

في تلك المرحلة يحدث هجوم إسرائيلي منظّم ومخطّط له، بهدف تصعيد مصادرات حي الشيخ جراح وتحقيق التقسيم المكاني والزماني للمسجد الأقصى، مقابل تصعيد في أعمال المقاومة وفي البيئة الانتفاضية ،فيحدث تسخين وتصعيد لدى الفلسطينيين في نفس الوقت. يترافق ذلك مع حلول شهر رمضان.

في مثل هذه الأوضاع تربط المقاومة بين المسار والمصير وبين الدفاع عن القدس ومصير المقاومة.

لكن ماذا لو أن الانتخابات حصلت ودخلنا في الحملات الانتخابية؟ لربما انشغل الفلسطينيون في تلك الحملات وبالعرس الديمقراطي؛ ولربما ترددت المقاومة في إطلاق الصواريخ، لأنها سوف تُتهم بأنها تعرقل المسار الديمقراطي وأنها تتهرب من إعادة ترتيب البيت الفلسطيني.

إذاً، لقد كشفت معركة سيف القدس أن المقاومة كانت مستعدة للانتخابات، وأن الذي عطّلها هم جماعة مسار أوسلو، وأنهم الذين أفشلوا هذا المسار، فباتت المقاومة حرة في صناعة قرارها عندما تنتصر للقدس. وبالتالي، عندما باتت القدس لوحدها، انتصرت لها المقاومة، وانتصر لها كل الشعب الفلسطيني، وانتصرت لها الأمة والبيئة الإنسانية. والطرف الآخر الذي عطّل المسار الديمقراطي هو الذي خسر سياسياً وعُزل شعبياً؛ وكُشفت بالتالي سوءات أوسلو.

الأمر الثاني: الوحدة. في هذه المعركة تجلّت معالم الوحدة بأجمل معانيها؛ كل قوى المقاومة في الداخل والخارج توحدت من أجل قضية القدس. وقد تجسدت الوحدة لدى الشعب الفلسطيني، في غزة، في القدس، في الضفة الغربية، مع وحدة أهلنا في 48 وفي الشتات الفلسطيني، لحماية القدس.

الأمر الثالث: القدس؛ منذ أن بدأ الاحتلال البريطاني والصهيوني هي أساس وركيزة لتفجير الثورات. ركيزة القدس في الوجدان الفلسطيني والعربي، والإسلامي والإنسانية، قوية. القدس مفجّرة الثورات منذ عام 1920؛ وأول ثورة فلسطينية، كانت القدس قد وحّدت الأمة خلفها. القدس هي حالة الإلهام البشري، وهي البوصلة التي وحّدت الأمة ضد العدو الصهيوني.

هذه العناصر تكاد لا تجتمع إلا في القدس؛ وبالتالي أظن أن إعلان مركزية القدس يجب أن يكون حاضراً لدى صنّاع القرار.

الأمر الرابع: نحن في الحالة الفلسطينية على مشارف تغيير في البيئة السياسية الفلسطينية، وأمام إعلان صريح لفشل إدارة السياسة الفلسطينية لإدارة القضية الوطنية الفلسطينية. لقد خذلتنا هذه القيادة حينما أوقفت المسار الديمقراطي وتابعت احتكار منظمة التحرير وإدارة القرار الفلسطيني، وأنه لا يوجد أفق سياسي. كل هذا ترافق مع إجماع حول نهج المقاومة في المعركة التي خاضتها أخيراً ،وهي أقرب إلى بيئة معركة الكرامة التي حدثت عام 1968. فنحن الآن على أبواب مرحلة سياسية جديدة تشرعن لخط المقاومة كي يتولى الزمام في صنع القرار الفلسطيني. يجب أن يكون هناك اصطفاف وطني لفرض حالة تغيير على القيادة الحالية بأنه آن الأوان لتغيير حقيقي. واليوم، قيادة المقاومة هي التي تعبّر عن تطلعات الشعب الفلسطيني.

إن الساحة تعج بالعرائض التي تطالب القيادة بالتنحي، ليس فقط بأفرادها، بل بمنهجها ومسارها؛ منهج التسوية لم يعد له مكان في الساحة الفلسطينية، ومنهج المقاومة يجب أن يحل مكانه.

الأمر الخامس؛ نحن أمام اصطفاف حقيقي، وهو أن تقوم القيادة، على أساس وحدة وطنية، على خمعادلة القدس والمقاومة؛ عندها ستنطلق الأمّة.

الأمر الأخير في هذا الجانب، هو التأكيد على أزمة المشروع الصهيوني. فهناك حالة من الارتباك الداخلي في إطار صنّاع القرار؛ إن المقاومة التي وفّرت لقمة خبز أبنائها من أجل صناعة الصواريخ، وهي محاصرة منذ خمسة عشر عاماً، وبأقل الإمكانات، استطاعت هزيمة الجيش الصهيوني واستهداف مؤسسات الكيان المختلفة . إذاً، هذه المقاومة جديرة بأن تحظى بدعم كل الشعب الفلسطيني.

بالمقابل، العدو الصهيوني يواجه أزمة متصاعدة في الأماكن التي يسيطر عليها، خاصة إذا ما التحم خطّا المقاومة في الداخل والخارج.

وختاماً، التحديات ستزيد، لأن هناك من سيأتي ليسرق الانتصارات ومن سيحاول أن يلمع السلطة؛ ستحاول دول إعادة غزة إلى الحصار وإشغالها بجراحها وبالدمار وبالإعمار؛وهناك من سينفخ بنار الخلافات الداخلية؛ لكن وعي المقاومة وقيادتها، وثبات هذا الخط، وانتصار الحالة الشعبية الفلسطينية والعربية والإسلامية، لا بل الإنسانية، سيمكّننا من تجاوز كل التحديات.

الدكتور عبد الحليم فضل الله:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ في البداية الشكر للدكتور يوسف نصر الله ولمركز باحث الذي يعطينا هذه الفرصة للإمعان للحظة في ما جرى أخيراً في فلسطين.

سأتحدث عن ما كشفته معركة غزة من أزمات بنيوية لدى العدو الصهيوني، وما كشفته من عوامل ومواطن قوة لدى المقاومة ومحور المقاومة.

بالنسبة للأزمات البنيوية: أولاً، الأزمة الجيوسياسية لدى العدو؛ فمن الواضح أن العدو لديه تبعية كبيرة،وهي تزداد شيئاً فشيئاً، للقرار الأميركي. ومن الواضح أكثر من أي وقت مضى أن قوة العدو، كما ضعفه، ترتبط بقوة وتماسك وتهاوي النظام الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة الأميركية. إن الحرب الأخيرة كانت خاضعة لإيقاع أميركي؛ فلم يكن لدى الصهيوني القدرة على اتخاذ قرار بعيد المدى، بل كان متموضعاً داخل النافذة الزمنية التي وفّرتها له الإدارة الأميركية التي لا تكن الودّ لإدارة نتنياهو؛ لكن هذا لا يعني أنها لا تكن الودّ للعدو الإسرائيلي نفسه.

الأزمة الثانية هي أزمة المشروعية؛ منذ ربع قرن حتى الآن،تقوم سياسة العدو الخارجية على تكريس المشروعية لكيانه، وعلى إفشال محاولات تقويض هذه المشروعية من قبل المقاومة وقوى المقاومة والقوى العربية والإسلامية الحيّة. لكن اليوم لا يتموضع العدو مع اليمين العالمي ضد اليسار العالمي، بل مع اليمين المتطرف العالمي بمواجهة كل القوى المناهضة لليمين المتطرف؛ وهذا من سوء التدبير. واليوم، فكرة الدولة اليهودية باتت تشكّل جزءاً من اليمين المتطرف العالمي، وهي محل انقسام عالمي ، الأمر الذي أفقدها المشروعية إلى حد كبير.

لقد قرأنا كثيراً كيف يتراجع تأييد كيان العدو وسياساته لدى يهود الولايات المتحدة الأميركية منذ عقد من الزمن، بينما كانت الاتجاهات الليبرالية والديمقراطية في الغرب تتبجح بتأييد قضية «إسرائيل» باعتبارها قضية شعبية رابحة ووازنة.

التحدي الثالث هو الانقسام الداخلي لدى العدو؛ الآن المجتمع الصهيوني منقسم على الأقل إلى خمسة أقسام، لأسباب عرقية وسياسية. لذا بات هناك صراع ضمن أراضي 48 ؛وهذه نقطة ضعف وجودية وبنيوية.

الأمر الرابع هو الفشل العسكري، حيث سقطت نظرية الحسم التي لطالما استند إليها العدو؛ نظرية أن يطيل الحروب لكي يستطيع التحكم بما هو بين الحروب، وأن عنصر الردع والحسم لا شك فيه من خلال حرب قصيرة. كل هذا بدأ يتهاوى.

فالمقاومة في فلسطين ،وفي لبنان، فرضت على العدو أطول حرب خاضها منذ عقود.

الأمر الخامس، هو تحقق أسوأ هواجس العدو؛ فالعدو كان يشخّص المخاطر على الجبهة الشمالية بإيران ومحور المقاومة؛ أما الآن، فمحور المقاومة يحيط به من جهات خارجية متعددة ومن الداخل. أيضاً، كان محور المقاومة قيد التشكل؛ أما الآن، فقد تشكّل سياسياً وميدانياً وديمغرافياً، وتغلب على كل العقبات،حيث نستطيع أن نتحدث اليوم عن محور المقاومة بالفم الملآن.

إن العدو بات ملزماً بخيار الدولة الواحدة، لأن اليمين يحكم «إسرائيل» ولا يستطيع الذهاب باتجاه حل الدولتين، بل هو محكوم بخيار الدولة الواحدة.

في هذه الحرب العدو لم يحقّق شيئاً في الطبقة الاستراتيجية. أما في الطبقة العسكرية، فلا هدف حقّقه؛ وفي الطبقة العملانية، لم يجرؤ على اتخاذ قرار التقدم البري؛ وحتى على مستوى الطبقة التكتيكية التكنولوجية فشل؛ فما الذي فعلته له القبّة الحديدية بمواجهة صواريخ المقاومة؟

بالمقابل، كسبت المقاومة الآتي:

كما حصل في لبنان، تحكمت المقاومة الفلسطينية بالنهاية الميدانية والسياسية للحرب. كانت مشكلة العدو أنه حتى عندما كان يتحكم بالنهاية الميدانية فهو لا يتحكم بالنهاية السياسية للحرب. أما الآن، فهو لم يتحكم بالنهاية الميدانية ولا بالنهاية السياسية؛ وهذا درس تعلمناه في لبنان،حيث كلّما كنّا أكثر قدرة على التحكم بهاتين النهايتين كلّما كنّا نتقدم على سلّم الانتصار على العدو.

من جهة ثانية، ومن الدروس التي تعلّمناها أيضاً، أن قضية المقاومة الميدانية والعسكرية والشعبية هي قضية واحدة، وليست هناك مسارات متعددة للمقاومة؛ بل هناك مقاومة واحدة بأبعاد مختلفة. وهذا ما رأيناه بأفضل تجلياته في معركة سيف القدس، حيث أثبتت المقاومة قدرتها على اتخاذ القرار؛ وهنا أقاطع بين التجربة اللبنانية والتجربة الفلسطينية في غزة: أهم ما تكتسبه المقاومة وتتحلى به، بالمقارنة مع كل من واجه العدو من جيوش ودول، بأن لديها قدرة كبيرة ومرونة على اتخاذ القرار؛ وهذا ما كان يفتقر إليه العدو. اليوم المقاومة تستند إلى نظام إقليمي جوهره المقاومة ومشروع المقاومة، دون أن يعني ذلك إطاحة كل الخيارات الأخرى، أو أن نموذج المقاومة واحد؛ لكن هناك نظام إقليمي واحد يُبنى على قاعدة وجود المقاومة، وهو أثبت نفسه . محور المقاومة اليوم هو نظام إقليمي يعبّر عن نفسه بالسياسة، وبالميدان، وبالمعنى الجيوسياسي وبالمعنى الوطني؛ وهو أهم ما نلمسه حالياً .

لقد تعملقت المقاومة وتجاوزت الانقسامات ذات الطابع الوطني والسياسي الداخلي. وهي اليوم تستند إلى تماسك فلسطيني متين.

في لبنان، كنّا نبحث عن الوحدة فرأينا نجاحها على أساس مشروع المقاومة. والآن في فلسطين يجب أن تقوم الوحدة على مشروع المقاومة؛ وهذا الخيار حرّرنا من أوهام التسوية، وحرّر العرب والمسلمين من وهم التسوية، ومن وهم المحافظة على «ستاتيكو» لا حرب ولا سلم، ووهم الجمع بين التسوية والمقاومة، ووهم تنويع التحالفات خارج فكرة المقاومة، ووهم الحل الاقتصادي أو المقايضة: الوفرة مقابل التخلّي عن الأرض. وحتى هذا الخيار لم ينجح لمن أراد هذا الشكل من التسويات.

الدكتور سيف دعنا:

أهم درس من دروس الانتصار في معركة سيف القدس أن ما حصل كان نوعياً، وهو انتصار عظيم. فقياس الانتصار ليس بعدد الضحايا.

أثناء غزو العراق عام 2003، كل العالم نظّم مظاهرات ضد الحرب؛ ورغم ذلك وقعت الحرب. لذا نستنتج أنه رغم أهمية المظاهرات، لكن يجب اتباع آليات أخرى، مثل المقاومة المسلحة.

التحرير أسهل وأسرع عندما تكون في مقدّمة كل الوسائل ما حدث في معركة سيف القدس. لكن الأهم ما يتعلق بحركة التحرر الفلسطيني؛ سادت مقولة في الجزائر أن بداية الدولة كانت مزوّرة؛ بمعنى أن القوى الاجتماعية المسيطرة على الدولة مشابهة لكل ما جرى في دول ما بعد الاستعمار؛ يعني أن الاستعمار خرج بالمعنى العسكري، ولكنه بقي بالمعنى السياسي والاقتصادي؛ وبالتالي هذه البداية المزوّرة لم تُستكمل، لأنه تم تحرير الجزائر عسكرياً ولكن ليس سياسياً، ولا اقتصادياً، ولا ثقافياً.

هذه المقولة قد تنطبق على الواقع الفلسطيني، لأن بداية منظمة التحرير كانت بداية مزوّرة؛ وسبب الحديث عن بداية مزوّرة بمناسبة انتصار سيف القدس، أنه في كل مرّة نضطر للعودة إلى المسلّمات. وللأسف، عندما نتابع التصريحات في الإعلام نجد أنها تخالف نتائج الانتصار، وتعيدنا إلى البداية المزوّرة.

ماحصل خلال الحرب الأخيرة هو ظهور أصوات معارضة من داخل الحزب الديمقراطي. هناك تراجع في التزام الولايات المتحدة بإسرائيل كأولوية، حيث بدأت تتغير النسب في الشارع الأمريكي؛ وهذا ما دفع الناس إلى قراءة خاطئة. من يحدّد السياسة الجديدة هي الطبقة الحاكمة ومصالحها؛ وتأثير خمسة أعضاء في الحزب الديمقراطي محدود لجهة دعم تصور حل الدولتين في فلسطين. فهم ليست لديهم القدرة على التأثير في صنع القرار.

لو استطاع العرب تشكيل «لوبي» في كل دولة أجنبية فستكون حركتهم فعّالة حينها.

بعد الحرب العالمية، قامت القيادات اليهودية بتوجيه العالم إلى محاربة الشيوعية بدل محاربة النازية، رغم الهولوكوست، لأنها انخرطت في قلب السياسة الخارجية الأميركية.

النهج الأمريكي اتجاه معركة سيف القدس كان كالآتي : كانت هناك دعوة للتهدئة، وإظهار وجود محاولات للضغط على نتنياهو، على الرغم من أن الولايات المتحدة أبطلت اجتماع مجلس الأمن بشأن غزة عدة مرات.

بالنسبة للأميركي، يجب تحقيق هدوء في فلسطين، وقد أصبح الهجوم على الإقليم أسهل. التصعيد في فلسطين يعطّل السياسة الأميركية في الإقليم. وبالتالي يمكن إعطاء الفلسطينيين وهم؛ وهذا ما تم التعبير عنه في صحيفة نيويورك تايمز بأنه من المطلوب إعادة تفعيل حل الدولتين وليس العمل للوصول إلى حل الدولتين. إذاً، المطلوب هو تهدئة في فلسطين كي تستطيع الولايات المتحدة الأميركية الاستمرار في سياستها لإعادة ترتيب الإقليم، بما يتوافق مع توجهاتها نحو شرق آسيا ومواجهة الصين وروسيا.

هذا لا يعني تغيراً في السياسة الأميركية. فالولايات المتحدة تشعر أن إعادة استعمال وهم «حلّ الدولتين» يفيد من أجل تفعيل الهجمة على الإقليم؛ والهجمة على الإقليم المقصود منها كبح الصعود الإيراني أو ضربه، أو الوصول إلى صيغة حل ما مع الحالة الإيرانية.

الولايات المتحدة تدفع مليارات الدولارات سنوياً لكيان الاحتلال. الترتيب الإسرائيلي من ناحية الدخل هو رقم 18 أو 19، والدخل الفردي الإسرائيلي تجاوز ال45 ألف دولار؛ وهذا ليس نتاج جهد إسرائيلي ذاتي؛ أي أن الغرب الامبريالي يوفّر للاسرائيلي مستوىً معيشياً أفضل من بعض الدول الأوروبية. والسبب وراء ذلك أن الإسرائيلي لديه وظيفة متقدمة، ومن غير المسموح غربياً للإسرائيلي أن يخرج من نطاق هذه الوظيفة.

الناتج القومي في الكيان لا يتأتى عن السياحة الإسرائيلية أو التصدير أو التجارة أو الصناعة. إن «إسرائيل» تعمل بالحرب ،التي هي أهم أدوات الإنتاج الرأسمالي بناءً على فكرة القتل؛ الهدم وإعادة البناء. إذاً، الولايات المتحدة هي إمبراطورية.

القضية الثانية هي وجود «إسرائيل». أحد الأوهام هذه الأيام أن «إسرائيل» هي دولة فصل عنصري. لقد تطور علم الاستعمار المقارن، الذي يميّز بين أنواع الاستعمار الاستيطاني وحالات ذهاب الأوروبيين إلى مجتمعات أخرى واستيطانهم ومحاولة بناء مجتمعات على شاكلة مجتمعاتهم الأوروبية البيضاء، مابين أربعة أو خمسة أنواع حسب الظرف. الفرق بين هذه الأنواع يكمن في علاقة الأرض بالعمل؛ المستعمرات تستوطن الأرض وتستغل العمل كما حدث في جنوب أفريقيا. ولكن هناك اختلافات.

هناك نموذج آخر يُسمّى المستعمرة الاستيطانية الصافية، التي يتم فيها استعمار الأرض والعمل؛

وهذا ما يؤسس لضرب التاريخ ،ويؤدي إلى المجازر وإلى إبادة الشعوب الأصلية وليس استغلالنا فقط. فالمؤسسة الصهيونية ارتكزت على استراتيجية الإبادة والقتل لدفع الشعوب على الخضوع أو الهجرة؛ وهذا ما يحصل في فلسطين.

القضية الفلسطينية هي قضية وجود وليست قضية مطالب. وهذا ما يعطي معركة سيف القدس أهمية كبرى.

الدكتور طلال عتريسي:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أولاً يجب أن نتعامل مع ما حصل في فلسطين على أنه إنجاز كبير، وأن نبني على هذا الإنجاز. ما تحقق على مستوى وحدة المقاومة في الداخل خطوة جديدة واستراتيجية ، مع وجود تفاوت في الأدوار بين الأطراف المعنية . الوجه المكمّل لهذه المعادلة هو استكمال بنية وتلاحم محور المقاومة؛ المعركة الأخيرة عجّلت في لحمة محور المقاومة، الذي كان مهدداً من دون سوريا وناقصاً من دون حماس في السنوات العشر السابقة؛ هذه المعركة أعادت حماس إلى قلب محور المقاومة، وثبّتت وضع سوريا الذي لم يعد مهدداً. إن محور المقاومة بات في مرحلة جديدة على مستوى اللحمة والثبات والانتقال إلى وضع هجومي، وليس البقاء في وضع الدفاع، كما كان حاله خلال السنوات العشر الأخيرة .

من ثوابت القضية الفلسطينية أنه كلما تحرك الشعب الفلسطيني يتحرك الرأي العام العربي والفلسطيني، وحتى الرأي العام الدولي. وكلما كانت الظروف تمنع مثل هذا الحراك يخفت الرأي العام العربي والإسلامي.

هذا يعني أن قلب الصراع هو في فلسطين عندما تكون الظروف مناسبة. المقاومة والشعب الفلسطيني يتحركون، والرأي العام العربي والإسلامي يستجيب.

على المستوى الإسرائيلي، هناك رأي عام لدى المستوطنين يتسم بالخوف والقلق على المستقبل. كان هذا الشعور ضعيفاً لديهم، لكن اليوم هم يشعرون أن حياتهم مهدّدة. لم يعد هناك أمن؛ وبالتالي التفكير بالهجرة بات جدياً.

وأقترح هنا الاستثمار في هذا الموضوع في إطار الحرب النفسية. علينا أن ندعو دول الغرب وروسيا من أجل المساعدة لتحقيق العودة الطوعية والآمنة لليهود إلى البلدان التي أتوا منها. وقد يلقى هذا الموضوع تفاعلاً، لأن الجيش الإسرائيلي والقبة الحديدية لن يستطيعا حماية المستوطنين.

من الاحتمالات الممكنة بعد هذه الحرب، محاولة تطويق المقاومة ؛يعني بث الروح في خيار التفاوض وإعادة الروح إلى السلطة الفلسطينية، والسلطة جاهزة. أيضاً، سيتم إعادة تنشيط الكلام

عن حل الدولتين، وهو طرح مقبول دولياً وعربياً، وجزئياً من قبل الداخل الفلسطيني؛ لكن هذا يعني إنهاء مشروع المقاومة. ورفض هذا الحل يحتاج إلى رؤية متكاملة. إضافة إلى مسألة الدعوة إلى هدنة طويلة من أجل إعمار غزة؛ ولكن هل يمكن أن ترفض مشروع الإعمار وترفض الهدنة الطويلة، أو تقبل بمشروع الإعمار وترفض الهدنة الطويلة؟ هذا يحتاج إلى خطاب محدد وواضح.

إن الهدف من التدخلات الخارجية هو تطويق الإنجاز الذي حصل كي لا يكون خيار المقاومة هو الخيار المستقبلي . يجب أن نتوقع أن تتعرض حماس لمحاولات هجوم عنيفة وضغوط بسبب دورها ومواقفها، وبسبب العلاقة المعلنة والجريئة مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ومشروع العودة إلى العلاقات المتينة والصحيحة مع سوريا.

أخيراً ، ما حصل في غزة عزل مشروع التطبيع، فأصبح الداعون إليه والمنخرطون فيه في موضع الدفاع والعزلة، بعكس وضعهم في السنة الماضية.

وعليه، ربما نستطيع أن نقول إن معركة سيف القدس قد تكون المعركة ما قبل الأخيرة مع الكيان الغاصب لفلسطين.

الدكتور عباس إسماعيل:

السلام عليكم، وشكراً لكم على الدعوة. كان هناك خطأ استخباراتي إسرائيلي بشأن النيات الفلسطينية. هدف العدوان الإسرائيلي إلى إسقاط معادلة القدس–غزة، من خلال كي وعي الفلسطينيين، وجعلهم يعتقدون أن الدفع باتجاه هذه المعادلة سيجعلهم يدفعون ثمناً باهظاً؛ طوال أيام المواجهة كانت العين الإسرائيلية على حزب الله وعلى الجبهة الشمالية، في ظل إقرار إسرائيلي بتطور القدرات الصاروخية لدى المقاومة: مدى أكبر، دقة الإصابة أفضل، قوة التفجير أقوى، كثافة إطلاق واستهداف مراكز غير مشتت للأهداف. كل هذه العناصر هي التي أضعفت فعالية منظومة القبّة الحديدية.

التهديد الأكبر للكيان تمثّل في مشاركة فلسطينيي 48، لأنه لامس التهديد الوجودي.

كل ما حصل أعاد النقاش في «إسرائيل» حول مجموعة مسائل، تجسدت في معضلة غزة،في ظل غياب الاستراتيجية الإسرائيلية لمواجهة هذه المعضلة، وخيارات تتراوح بين السيء والأسوء، استراتيجياً وأمنياً وعسكرياً، بالنسبة لإسرائيل، والتي كانت أمام ثلاثة خيارات : إما أن تعمل على مواجهة الوضع القائم في غزة، أو تحتل قطاع غزة، أو تعمل على تعزيز سيطرة حماس والاعتراف بها.

لا ننسى هنا أن تسمية العملية العسكرية ضد غزة هي تسمية دينية «حارس الأسوار»؛ وهي

كغيرها من العمليات العسكرية الإسرائيلية لها دلالات دينية، وهذه التسمية مأخوذة من الآية السادسة من الإصحاح الثاني والستين من سفر إشعياء الذي يقول: على أبوابك يا أورشليم أقمت حراساً.

مع أهمية ما تحقق، هناك حاجة إلى بلورة المعادلات الجديدة؛ واختبار النتيجة هو رهن عامل الوقت. معادلة القدس–غزة ومعادلة غزة–أراضي 48 طُرحتا منذ البداية ؛ولكن من المبكر القول إن هاتين المعادلتين قد تكرستا؛ وسعي محور المقاومة والمقاومة الفلسطينية وحركة حماس، وكل فصائل المقاومة لفرض معادلات جديدة من هذا النوع، يُعدّ تهديداً وجودياً بالنسبة لإسرائيل . يجب أن يقابل هذا التهديد الاستعداد لخطوة إسرائيلية مماثلة؛ أي الاستعداد لخطوة إسرائيلية كبيرة تعرّض وجود الفصائل الفلسطينية في غزة للخطر، وتحديداً حكم حماس، وذلك من خلال التخلّي عن الاستراتيجية الإسرائيلية الحالية القائمة على التجزئة والفصل والجغرافي والسياسي بين الضفة والقطاع، لخدمة أجندة اليمين، ما قد يدفع إلى تفكير الإسرائيلي بتعريض وجود حكم حماس في غزة للتهديد، من خلال إزالته، بغضّ النظر إن كان الإسرائيلي يستطيع فعل ذلك أم لا. ولا توجد الآن استراتيجية إسرائيلية بالقضاء على حماس.

خاتمة

إذا ما سلّمنا جدلاً بمنطق أولئك الذين يدّعون أن معركة سيف القدس لم تؤدّ إلى تغيير جوهري في موازين القوى المادية بين الكيان الإسرائيلي وفصائل المقاومة في غزة؛ فإن ما سُلّم به أن نتائجها الاستراتيجية والمعنوية – إذا صحّ التعبير – كانت كارثية على كيان الاحتلال، الذي قرأ بقلق بالغ مبادأة المقاومة الفلسطينية باستخدام القدرات الصاروخية بشكل منظّم ومنضبط ومتواصل طيلة أحد عشر يوماً، استهدفت كل أنحاء الكيان الإسرائيلي.

لقد كشفت يوميات المعركة بين «أقوى» جيش في المنطقة وبين فصائل ومجموعات مقاومة شبه منظّمة عن نقاط ضعف خطيرة وربما قاتلة في جيش الكيان وداخل مجتمعه الهش، والتي يمكن البناء عليها في المواجهات المقبلة مع العدو، من جانب محور المقاومة في المنطقة عموماً.

إن الحرب بين الاحتلال والشعب الفلسطيني وشعوب المنطقة باتت حرب إرادات ومعنويات وأدمغة؛ ولا شك أن اجتماع الكميّة والنوعيّة التي باتت راجحة لدى الطرف المقاوم سيهزم الكيان الذي بات محاصراً بعشرات آلاف المقاومين وبمئات آلاف الصواريخ، والتي لن تُفلح المنظومات الاعتراضية (القبّة الحديدية وسواها) في صدّها.